

حركة الديمقراطيين الاشتراكيين

ندوة حول

"الشباب و العنف"

ندوة في نطاق إحياء الذكرى
الثامنة عشر
لتأسيس اتحاد المغرب العربي

سلسلة نشر الوعي السياسي والثقافي
وتنمية الحوار

تونس في 17 فيفري 2007

مواصلة لهذا التوجه، وإسهاما في إخراج المشروع المغربي من طي النسيان وإكسابه شرعية الحضور لدى الجيل الجديد واهتمامات الرأي العام، ارتأينا ربط هذا الحلم المصيري لشعبونا المغربية بالمستجدات المتعلقة بمنطقتنا المغربية وهي معطيات لا بد من أخذها بعين الاعتبار :

أولا : الإحصائيات المعلنة تبرز عنصر الشباب بصفة طاغية في التركيبة الديمغرافية في بلداننا المغربية وتحديات ملائمة منوال التنمية في كل قطر مع استيعاب المقبلين على سوق الشغل وخاصة أصحاب الشهادت العليا.

ثانيا : ظاهرة التغير ببعض العناصر الشابة والمتعلمة لإيقاعهم في متهاتات الفكر المتطرف السلفي، والزج بهم في أعمال إرهابية ببلداننا المغربية باسم ما أعلن عنه أخيرا "القاعدة في المغرب الإسلامي". وهو ما يتنافى مع تعبئة الجيل الجديد لبناء مغرب موحد ديمقراطي وحدائي متفاعل مع عصره.

ثالثا : خطر التدخل الخارجي بعد إعلان وزير الدفاع الأمريكي يوم 6 فيفري الجاري عن قرار الرئيس بوش بعث مركز قيادة عسكرية جهوية لإفريقيا Africom مهمتها شن الحرب على الإرهاب، توقعا منه وجود بعض خلايا إرهابية في الصحراء ودارفور والصومال.

شبابنا مهدد

هناك خطر يهدد رأس مالنا البشري وخاصة الشباب، ونعتقد أن ما حدث أخيرا من مواجهات مسلحة قد فاجأ الجميع وأثار فينا جميعا التنديد بهذه الأفعال التي لا يقرها الدين ولا القانون . وأكندا أهمية حماية أمن المواطنين وضرورة الدفاع عن مكاسب البلاد واستقرارها.

لقد واجهت المجتمعات الديمقراطية ولا تزال أعمال عنف مؤلمة وقاسية في أحيان كثيرة. فالإرهاب كما تعلمون قد تحول في السنوات الأخيرة خاصة بعد تراكم الأخطاء الكبرى للسياسة الأمريكية وتورطها المتزايد في احتلال العراق إلى مشكلة عالمية، لكن المجتمعات الديمقراطية كانت ولا تزال تتحرك لمقاومة الإرهاب في اتجاهين متكاملين : الأول اتجاه أمني بالضرورة يهدف إلى محاصرة مجموعات العنف أمنيا حتى تحد من فاعليتها. وقد نجحت تونس في المواجهات الأخيرة في القضاء على جميع عناصر المجموعة. وهنا تأتي أهمية الردع الأمني ودور القضاء في تنظيم محاكمات شفافة وعادلة لمعاقبة كل من تثبت إدانته. أما المستوى الثاني من المعالجة فهو أبعد في الزمن وأكثر شمولاً.

ف للسياسة دور : سلطة وأحزاب ومجتمع مدني بحكم وظيفتها التأطيرية . وللإعلام دور أيضا في التوعية والتثوير وبث الوعي في صفوف الشباب . وللمثقفين والخبراء أهمية لتشريح الظاهرة والبحث عن جذورها العميقة والعوامل التي تغذيها، لأن العنف مرض، ولكل مرض أسبابه ووسائل لعلاجه، وكلما كان التشخيص

كلمة الأمين العام السيد إسماعيل بولحية

بسم الله الرحمن الرحيم
السيدة والسادة المحاضرون ، ضيوفنا الكرام،
الأخوات والأخوة الأعزاء،

يسعدني في بداية هذه الندوة أن أرحب بكم جميعا، وأشكركم على تلبية دعوتنا حتى نتمكن من تبادل الرأي مرة أخرى حول القضايا التي تشغلنا جميعا، وتتطلب وقفة هادئة وتعاملا موضوعيا ونظرة إستشرافية، لاستخلاص ما يجب استخلاصه، وتحصين مجتمعاتنا وتجاوز كل ما يتعارض مع مصلحة وطننا.

ولا شك أنكم لاحظتم تعدد ندواتنا، وحرصنا على ربط البعدين الثقافي والسياسي بالنسبة لمختلف مبادراتنا واهتماماتنا. فنحن نؤمن بأن الثقافة سند للسياسة وأن الممارسة السياسية اليومية إذا لم تركز على رؤية ثقافية ووعي حضاري فإنها توقع أصحابها في التكرار الأجوفا للشعارات وتنتهي بهم إلى التسطيح والارتجال . وقد اخترنا اليوم بمناسبة إحياء الذكرى الثامنة عشر (18) لتأسيس إتحاد المغرب العربي يوم 17 فيفري 1989 بمراكش أن نتناول موضوع "الشباب والعنف". ولعل هناك من يتساءل ما هي العلاقة بين السعي إلى إنجاز البناء المغربي وبين قضية الشباب والعنف؟ وهو تساؤل مشروع ستحاول هذه الندوة الإجابة عليه . واسمحوا لي قبل إعطاء الكلمة إلى الأساتذة المحاضرين أن أذكر بما جاء في ميثاق حركة الديمقراطيين الاشتراكيين "النضال لكي تكون الديمقراطية أساس الحياة العامة والكفاح المستمر ضد التعسف والعنف وانعدام التسامح". وكذلك "النضال من أجل بناء المغرب العربي الكبير باعتباره مرحلة في طريق الوحدة العربية الشاملة".

المشروع المغربي والمستجدات

وقد دأبنا على إشاعة الإيمان بالمشروع المغربي بوصفه لا ينفصل في اهتماماتنا عن جميع البرامج الوطنية للتنمية، بحيث أصبح هاجسا قارا في التكوين السياسي لمناضلي حركة الديمقراطيين الاشتراكيين والتوقف كل سنة لإحياء ذكرى تأسيس إتحاد المغرب العربي.

وقد استضفنا السنة الماضية في مثل هذا اليوم أستاذنا الكبير مصطفى الفيلالي الذي تفضل باستعراض كلفة عدم إنجاز البناء المغربي وهي خسارة تقدر بمئات المليارات.

سليما كلما ساعد على استئصال الورم من جذوره . هذا ما نريد أن نفهمه ونتوقف عنده في هذه الأمسية.

ولهذا الهدف بالذات دعونا نخبة نيرة من الأساتذة الباحثين : الأستاذة سلوى الشرفي و الأستاذ سامي براهيم والأستاذ المنصف وناس، ليسلطوا الأضواء على جوانب من ظاهرة العنف من زوايا متعددة، باعتبار أن فهم الظاهرة جزء من العلاج وخطوة نحو التحكم فيها حتى نجنب الجسم الاجتماعي من إعادة إنتاج العنف الكامن في بعض أجزاء مغربنا الكبير.

أشركم مرة أخرى على الحضور وأدعوكم إلى إثراء النقاش ويسعدني أن يتولى الصديق العزيز والزميل المعروف عبد اللطيف الفوراتي تنشيط وإدارة فعاليات هذه الندوة وله جزيل الشكر وإليه الكلمة.

• الأستاذ عبد اللطيف الفوراتي:

شكرا للأستاذ إسماعيل بولحية الذي شرفني كما شرفتموني كلكم بأن أجد نفسي بينكم لتنشيط هذه الندوة، وهي إحدى الندوات المفيدة و التنقيفية و المرتبطة بالواقع الوطني وبالأحداث الهامة التي دأبت حركة الديمقراطيين الاشتراكيين على متابعتها، و تنظيم ندوات من أجلها ثم نشر فعاليتها. وقد تشكلت فعلا مكتبة حقيقية محترمة اتسمت بالطرق المباشر لقضايا جدية، و في نفس الوقت تقديم آراء متخالفة أحيانا، ومتعارضة أحيانا أخرى. وهو ما ساعد على تسليط الأضواء من زوايا مختلفة على ظواهر مجتمعية يجب أن يتوقف عندها المناضل السياسي محاولا فهم مختلف تشعباتها.

أما الموضوع المطروح اليوم، يخص المغرب العربي كفكرة و كإنجاز، وهو موضوع الساعة باعتبار أن يوم 17 فيفري هو الذكرى الثامنة عشر لتأسيس اتحاد المغرب العربي. ولقد كان لي شخصيا و للسيد إسماعيل بولحية شرف حضور انبعاث هذا الاتحاد في مراكش يوم الإعلان عنه . و قد صاحبت ذلك الحضور و التطورات السياسية التي تلتها، وأرجو أن يأتي اليوم الذي يكشف فيه السيد إسماعيل عن تلك ذلك.

بعد تحرير بلدان المنطقة المغربية جاء التفكير للمرور لانجاز الفكرة المغربية و وضعها موضع تنفيذ . و لن أتطرق هنا إلى صلب الموضوع بأبعاده المختلفة و خاصة في مجال الشباب. لكن ما يلاحظ هو أولا البناء المغربي يبقى متعثرا. ثانيا إذا استثنينا تونس قيادة و أحزابا ومواطنين فإن الإرادة السياسية لبناء المغرب العربي حسب ملاحظتنا غائبة تماما في بقية البلدان المغربية . و نستطيع أن نقول أن الإرادة السياسية لهذا البناء مفقودة .

ثالثا إن المغرب العربي لم يعد فقط محل عدم اهتمام من الحكومات برغم الأمانة العامة والمقر والاجتماعات التي تتعقد حيناً و تغيب أحيانا، بل أصبحت هناك خلافات حتى بشأن التسمية. فمنذ منتصف الثلاثينات من القرن الماضي درجنا على الحديث عن المغرب العربي، و لكن نرى اليوم أن هناك اختلافات بشأن التسمية، بل وأيضا هناك معارضات. فعدد من الإسلاميين يتحدثون اليوم لا عن مغرب عربي بل عن المغرب الإسلامي. أما إخواننا

من البربر و القبائليين فإنهم يرفضون تماما تسمية المغرب العربي و يستعملون بدلها تسمية المغرب الكبير. و هذه نقاط يجب أن تطرح على الدراسة و لعل مناسبة مقبلة تكون محلا لدراستها. قد لا تبدو ذات أهمية و لكنها لا بد أن نقول أنها تنخر من الداخل أو تزيد في نخر هذا البناء الذي لم يستوي بعد.

حتى لا أحتكر الكلمة فإني أحيلها إلى السادة المحاضرين علما و أن الوقت المحدد لكل محاضر هو 20 دقيقة، و أرجو أن لا تزيد، ثم و بعد استراحة تتخللها مشروبات نعود للاستماع إلى تعقيبات أو أسئلة السادة الحاضرين بمعدل 3 دقائق لكل واحد. و أحيل الكلمة إلى الأستاذ عليّة العلاني لي طرح علينا إطار الندوة و شكرا.

• الأستاذ عليّة العلاني:

شكرا للسيد عبد اللطيف، و شكرا للإخوة الضيوف و لكل الحاضرين. طبعاً نحن في إطار لجنة التنمية السياسية في حركة الديمقراطيين الاشتراكيين. هذه اللجنة التي تجتمع كل نصف شهر بمقر الحركة، أقرت تنظيم ندوة حول الشباب و العنف.

في الأصل هذه الندوة هي تواصل لعمل لجنة التنمية السياسية التي تقدم في اجتماعاتها قراءة لواقعنا الوطني و المغربي و العربي و الدولي. اجتماعنا هذا اليوم يتزامن مع ذكرى عزيزة علينا و هي ذكرى إحياء اتحاد المغرب العربي يوم 17 فيفري 1989 بمراكش . وإحياء هذه الذكرى كما تعرفون يطرح علينا جملة من التحديات من بينها دراسة ظاهرة انتشار العنف بالبلدان المغربية و من بينها تونس. و في هذا المجال سنتحدث في إطار محور ندوتنا عن الشباب و العنف.

ظاهرة العنف متعددة الأسباب

إنّ الشباب هو عماد المستقبل و هو القوة الفاعلة في الإنتاج، الشباب هو الأداة التي نتقدم بها الشعوب أو تتأخر. كيف نفسر انتشار ظاهرة العنف لدى البعض من شبابنا؟ كيف نربي شبابا طموحا ومتوازنا؟ ما هي المخاطر و المحاذير التي يجب أن نحمي شبابنا منها؟

1/ كيف نفسر انتشار ظاهرة العنف لدى البعض من شبابنا؟؟ ماهي المخاطر و المحاذير التي يجب أن نحمي شبابنا منها؟

للإجابة عن هذا السؤال تجدر الإشارة إلى أن انتشار ظاهرة العنف تعبير عن أزمة مجتمعية. انتشار ظاهرة العنف لها جذور اقتصادية و اجتماعية و ثقافية كذلك. فالثقافة السطحية و الضحلة تسمح للأفكار المتطرفة و العنيفة أن تجد لها مجالا. فالإفراط في التدين يخلق شابا منطويا يسهل انقياده لأي فكر متطرف يؤدي به ضمنا إلى متاهة العنف أحيانا.

إن المجتمع التونسي متجانس من حيث اللغة و الدين و هي عوامل تجعل دوافع الفتنة فيه أقل و بالتالي فإن بروز بعض ظواهر التطرف التي تؤدي إلى العنف تبقى استثناء لا قاعدة. مثال على ذلك نلاحظ أن الخوارج و هم فئة ظهرت منذ الخلاف بين علي و معاوية حاولت أن تتمرد على الجميع و كوتبت بعض الأفكار الجديدة حول طرق ممارسة الحكم لكنها انطوت بعد ذلك على نفسها و

أصبحت تتفنن في الإكثار من المحرمات مثل الفن و الموسيقى وغيرها. و أصبحت تبحث عن ملاذ لها في شمال إفريقيا فلم تتمكن من إقامة دولة لها إلا في الجزائر.

السؤال المطروح : لماذا يلجأ البعض من شبابنا إلى العنف ؟ هل السبب اقتصادي أم اجتماعي أم ثقافي تربوي أم كل هذه العوامل مجتمعة ؟

العنف صنفان

إن العنف لدى شبابنا أو البعض من شبابنا يمكن أن نصنفه إلى صنفين:

- صنف نجده لدى مجموعة كبيرة من الشباب ابتداء من المدرسة مرورا بالأسرة و انتهاء بالمجتمع. و يمكن أن نلمس ظواهر العنف هذه في بعض الأحداث التي تحصل بالمؤسسات التربوية كاعتداء على الإطار التربوي أو القيام ببعض التصرفات المناهية للعرف الاجتماعي و تفسر هذه الظاهرة عادة استنادا إلى ظروف اقتصادية و اجتماعية معينة.

- صنف نجده لدى مجموعة صغيرة من الشباب تمارس عنفا و هي تعتقد أنها تقوم بإصلاح المجتمع. و هذه المجموعة نتاج تأثير ثقافي و تربوي معين. و ما عاشته تونس في الأسابيع الأخيرة مما عرف بأحداث السلفية الجهادية أكبر مثال على ذلك.

إن العنف لدى هذه المجموعة من شبابنا له خصائص معينة:

• أولا : هذه المجموعة تتركب في معظمها من شباب يتراوح عمره بين 20 و 30 سنة.
• ثانيا: يوجد ضمن هذه المجموعة عدد لا بأس به من أصحاب الكفاءات و المتميزين في دراستهم.
• العنف لدى هذه المجموعة مؤدلج و هذا هو مصدر الخطورة.

• هذه المجموعة تمارس العنف باسم الجهاد أي أنها تعطيه تبريرا دينيا. وهي تقدم قراءاتها و اجتهادها للنصوص الدينية على أنها القراءة الوحيدة و الحقيقة المطلقة.

• هذه المجموعة وجدت في بعض الفضائيات شحنة إعلامية و ثقافة موجهة تركز الانغلاق و الجمود و عدم التسامح.

• هذه المجموعة لها ثقافة دينية سطحية و هي تنتسب بظواهر النصوص و لها قراءة حرفية للنص الديني.

المعلوم أن تيار السلفية الجهادية ظهر قبل سنة 2001 بقليل لكنه تدعم بعد هذه الفترة. كان النقل موجودا بالجزائر لكن مر إلى المغرب و تونس و أنصار هذا التيار يعتقدون أنهم حاملين لرسالة.

القوى الدولية استثمرت وجود هذا التيار بشكل كبير . فمثلا نجد أن الحقوق التي كانت لدى عديد الأقليات العربية و الإسلامية في أوروبا و أمريكا وقع الحد منها بشكل كبير. والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط شهد اهتزازا كبيرا.

السؤال المطروح هو : هل أن تيار السلفية الجهادية في العالم فاعل أو مفعول به و هل أنه مختلق من قبل أجهزة الاستخبارات العالمية؟ المهم هو القول بأن التيار السلفي الجهادي و الذي تواجد في عديد البلدان العربية و منها تونس هو كذلك أحد إفرازات الوضع العربي المتردي. أي أنه إفراز لواقع الهزيمة الذي يتخذ شكل الانتقام عن طريق العنف. فالذي يقع يوميا في فلسطين و العراق و لبنان و في عدة بلدان أخرى يدفع بهذه المجموعة إلى الاعتقاد بأن الخلاص يكمن في التصدي لأعداء الدين.

مخاطر

إن المخاطر و المحاذير التي يجب أن نحمي شبابنا منها تكمن أساسا في :

- الثقافة المنغلقة التي ترفض مبدأ التسامح .
- الإعلام السطحي و الأحادي الجانب .

2/ كيف نبني شبابا خلاقا طموحا متوازنا؟

أن البيئة التي ينشأ فيها الشاب لها تأثير كبير في نحت ملامحه و القيم التي يتلقاها الشاب في المؤسسات التربوية يجب أن تكون حداثية لكنها غير متكررة لهوية المجتمع.

المجتمع الذي يعيش فيه الشاب يجب أن تسود فيه قيم التسامح و العدل و الكرامة و أن يكون فيه مبدأ التكافل و التضامن الاجتماعي عنوانا ثابتا. و يجب أن تكون فيه التعددية ممارسة حقيقية و متواصلة لأن في التعدد و الاختلاف إثراء و إبداعا. لأن ثقافتنا السياسية و ثقافتنا الدينية لم تتخلص من هاجس الفردانية و الوجدانية و رغم أن النصوص القرآنية تحث على حق الاختلاف مثلما ورد في الآية القرآنية " و لا يزالون مختلفين و لذلك خلقهم" أو الحديث المشهور " اختلاف أممي رحمة".

نجد إذن أن النزعة السائدة طوال تاريخنا الإسلامي هي الانتصار لفكرة واحدة و تكفير ما عداها. و أخيرا فإن الشباب يكون خلاقا و مبدعا و بعيدا عن التطرف و العنف:

- إذا كان متشبثا بقيم الحداثة و التمدن و الوطنية.
- و إذا كان مطمئنا إلى مستقبله المهني و الاجتماعي.

- و إذا كان منخرطا في الشأن العام بشكل يجعله يخدم قضية بلاده دون خوف أو ترزف.

و في الختام نشير إلى أن حركتنا حركة الديمقراطية الاشتراكيين لها موقف تاريخي واضح من العنف. فقد نددت بالعنف سواء في قصة سنة 1980 أو في الأحداث الأخيرة لكنها تدعو و لا تزال إلى قراءة عقلانية لدوافع العنف بهدف تجنبه مستقبلا، لأن خطر العنف لا يهيم تيارا أو مجموعة بل يشمل كل المجموعة الوطنية بجميع أطيافها و تلويناتها، و شكرا.

• عبد اللطيف الفورتي:

شكرا على هذا التقديم، والكلمة إلى الأستاذ المنصف وناس.

المنصف وناس: اليأس هو منتج الإرهاب

في البداية أهلا و سهلا بكم. سوف أحاول أن أعرض بعض النقاط العامة و الرئيسية المتعلقة بموضوع الشباب في المغرب العربي و أسباب و مبررات و جذور العنف.

يكون مفيدا بأن أعطي بعض العناصر الديمغرافية المهمة التي سنتبين لنا أهمية و ثقل الشباب في هذه المنطقة. في هذه الساعة التي نلتقي فيها هناك 85 مليون نسمة في المغرب العربي ، ونسبة الشباب في حدود 60 % و تصل في بعض الدول كالجائر و المغرب مثلا إلى 65 % . يعني تقريبا 57 أو 58 مليون نسمة في وضعية شباب و هذا الوضع مهم و سيزداد و لأن نسب النمو الديمغرافي في المغرب العربي هي نسب مهمة . فمثلا تصل نسبة النمو الديمغرافي في الجزائر 3.2 و في المغرب الأقصى 2.7 و في ليبيا 3 بزيادة قليلة. الاستثناء الوحيد و لا ندري كيف ينظر إليه إذا كان ايجابيا أو سلبيا هو استثناء تونس. بعد أن كنا في نمو يقدر ب 1.2 أصبحنا نستقر في 1 تقريبا كنمو ديمغرافي. لهذا من المتوقع حسب التقديرات و التوقعات العلمية و الإحصائية سيصل المغرب العربي إلى 100 مليون نسمة في عام 2025 و إلى حوالي 110 مليون نسمة في حدود 2035 .

هذا يعني أن المعطى الديمغرافي باستثناء تونس سيزداد أهمية و كثافة إحصائية و هذا المعطى الديمغرافي بكل ثقله و أهميته و بكل استتبعاته الثقافية و الاقتصادية و التنموية إلى غير ذلك لا يبدو في تقديرنا أنه يحظى بما يجب من الاهتمام و التأطير اللازمين و هنا تكمن المشكلة. إذا تأملنا مرحلة ما بعد الاستقلالات سنجد أن السياسات المغاربية إزاء الشباب تراوحت بين عناصر ثلاثة مختلفة حسب المراحل و حسب الاحتياجات السياسية إلى غير ذلك...

ثلاث سياسات في علاقة الأنظمة بالشباب

الاختيار الأول يمكن أن نسميه بإدماج الشباب في الهياكل السياسية و الإيديولوجية للأحزاب الحاكمة في مرحلة الاستقلال. إدماج يتخذ صبغة الإكراه أحيانا، ولكن أيضا إدماج يتخذ شكل الترغيب و التشجيع مقابل امتيازات اقتصادية و سياسية ، وفي أحيان أخرى امتيازات إلى غير ذلك...

الاختيار الثاني هو اختيار التصدي للشباب المختلفين في الرأي أو السياسة، و نسميها سياسة " الكوبوي " أي التعامل بكل قوة و قسوة مع الشباب المختلفين في الرأي في الجامعات و المعامل و النقابات و حتى في المعاهد الثانوية. و شهد المغرب العربي حالات متباينة من القمع

المتفاوت من حيث القوة و من حيث الزجرية. و لذلك تلاشت نخب كثيرة : نخب جامعية و فكرية و سياسية و ثقافية و جمعياتية. تلاشت جراء التعامل القوي معها و نتيجة الحرص على استبعادها بالملطوق ، استبعاد بالسجن أو بالتصفية أو بالإبعاد ... لذلك العقود الأربعة الفارطة من القرن العشرين كانت عقود إهدار الكفاءات في أغلب الأحيان.

يعني إذا لم تكن الكفاءة موابية ، و موافقة و متبينة للاختيارات، فهي غالبا ما تعامل بالقوة و بزجرية لا تكاد توجد لها مبررات. في بعض المجتمعات وصلنا إلى مرحلة التصحر ، يعني مجتمعات فاقدة تماما للنخب المؤثرة ، فاقدة لمناضلين نقابيين أقياء، فاقدة لأصوات مرتفعة بقوة لمقاومة الوضعية.

الاختيار الثالث هو اختيار اللامبالاة : من لم يكن معنا و من لم يكن مسيسا و معارضا يتم التعامل معه بنوع من اللامبالاة. و لهذا العقود الأربعة تزامنت مع حرص على أن يتم توفير حاجيات الشباب و تلبية انتظاراته حيث هو مطالب بنسق الدخول في منطقتي التسيير السياسي و القبول به و إبراز الولاء من أجل تحقيق الحد الأدنى من الحقوق و الحاجيات من أجل إشباع الانتظارات من خلا الولاء و " الزبونية" السياسيين و إما القمع و لإقصاء.

هذه الاختيارات الثلاثة و أتحدث هنا عن القصد لأنني أفترض أن هناك قصيدة معينة وراء ذلك. هذه الاختيارات لا تساعد على وجود شباب فاعل مشارك سياسيا في المجتمع قادر على التأثير في بنية الحياة السياسية و في آلية صنع القرار السياسي و قادر على صيانة المجتمع من التطرف و من العنف لأن التعامل " الزبوني" المحسوب على الشباب أو التعامل القمعي أو الإقصائي أو التهميشي هو ليس حالة سياسية ثقافية متوازنة و تدليل على وجود علاقة شبه مختلة بين الشباب و بين مختلف الانتظارات السياسية . و لهذا أنا أعتقد أنه في أغلب الحالات ، حالات المجتمعات المغاربية أدت السياسات المبرمجة و المختارة إلى الإحباط و فرزت حقائق صعبة و شاقة.

أرقام ودلالات

اسمحو لي أن أشير إلى بعض هذه الإحصائيات . لو تأخذ مثلا الدول البترولية و الغازية في المغرب العربي : ليبيا دخلها مثلا من البترول هذه السنة 36 مليار دولار حسب الخطاب الرسمي. و تحدث "بوتقليقة" عن 46 مليار دولار و عن الاحتياط في البنك المركزي الجزائري الذي قدر ب 70 مليار دولار. و لكن هناك معطيات أخرى مهمة حيث أنجزت مؤسسة الدرك الوطني في الجزائر ، و هي مؤسسة عتيبة أمنية لها قدرات بشرية و مالية مهمة جدا و أحد عناصر صناعة القرار السياسي الجزائري و هي مشاركة في السلطة بشكل كبير، أنجزت دراسة هامة عن نسبة تناول المخدرات لدى الشباب المدرسي في الجزائر. و هذه

الدراسة نشرت في مستويات كثيرة و حتى "الجزيرة" أشارت إليها منذ مدة. نسبة تناول و استعمال المخدرات لدى الشباب المدرسي و في الثانوي بالخصوص بلغت 45 % على كامل التراب الجزائري. تصل هذه النسبة اعتمادا على جمعية مكافحة المخدرات التي يرأسها السيد" ساعدي معمر القذافي" إلى 70 % من الشباب الليبي. الإحصائيات صادرة عن شخصية متنفذة فاعلة . و لهذا فما قدم إلى الشباب لا يجب أيها الإخوة الكرام أن ننظر إليه بإيجابية. إذا ما قومنا حصيلة ما قدمته دول الاستقلالات إلى الشباب ليست حصيلة ايجابية رغم كل الإمكانيات التي توفرت، ورغم الموارد المالية المهمة لأنه في هذه اللحظة التي تحدث فيها هناك نسبة 45 % من أطفال المغرب العربي الأقصى لا يذهبون إلى المدرسة الابتدائية، نسبة 50 % من الشباب في المغرب الأقصى لا يذهبون إلى المعاهد الثانوية و نسبة التشرذم تصل إلى 1.5 على كل ثلاثة أطفال ، و كذلك في الجزائر و تقريبا 1 في تونس.

حصيلة خمسة عقود ليست ايجابية

هذه الإحصائيات تدلل على وجود مشكلة حقيقية و تدلل أيضا على أن حصيلة 5 عقود من الاستقلالات الوطنية ليست حصيلة ايجابية – لا نريد أن تكون ايجابية مائة بالمائة أو بنسبة 80 % لكن على الأقل بنسبة 60 % . و سأشير إلى بعض الأرقام التي تدل على عجز السياسات العامة و لكن خاصة عجز السياسات المختارة للتعامل مع فئة الشباب التي تمثل 60 % في مجتمعات المغرب العربي.

لا غرابة في ذلك إذا كانت الجزائر تستورد 90 % أو 95 % تقريبا من حاجياتها من الغذاء. فالجزائر تستورد حاجياتها من الحبوب بنسبة 99 % و حوالي 90 % أو 95 % من حاجياتها من المواد الغذائية و هو ما يكلفها سنويا من 12 إلى 15 مليار دولار لتأمين الغذاء ل 30 مليون جزائري . أضف إلى ذلك إذا أخذنا مثلا نسبة توريد الغذاء بليبيا بحوالي 98 % تتضاف هذه المشاكل و هذه الأزمات إلى مشكلة التسلح. إن بلدا مثل الجزائر ينفق سنويا في مقاومة المجموعات الإرهابية المسلحة 10 مليارات من الدولارات لتجهيز الجيش و الأمن و الدرك الوطني و بنية الأجهزة الأخرى. تخيلوا أن 22 مليار دولار تتوزع بين الغذاء و بين التسلح، ماذا يبقى لتحقيق التنمية ؟ ماذا يبقى لإنجاز التقدم و التحديث ؟ نسأل الله جميعا أن لا يتسرب مبلغ الـ 70 مليار دولار من البنك المركزي الجزائري .

هذه السياسات أدت إلى نسب تدرس ضعيفة خاصة في الجزائر و المغرب و موريتانيا. كما أدت إلى تدني الخدمات الاجتماعية و الصحية وتأخر في المستوى التعليمي ضعف في المستوى التكويني. أعطيك بعض نسب الأمية في كامل المغرب العربي هي 50 بالمائة و نسبة مهمة منها في الأوساط الشبابية. تصل النسبة إلى 70 بالمائة في موريتانيا و إلى ما يزيد قليلا عن 50 بالمائة بالجزائر. الحكومة التونسية تقدم نسبة الأمية إلى 10 بالمائة لكن التوقعات الأصح تتراوح بين 17 و 20

بالمائة. هذه المعطيات تضخم الأزمة و تبين فشل السياسات الوطنية في مجال تأطير الشباب رغم أهمية الغاز و البترول و مداخيل السياحة و الهجرة و لكن مديونية المغرب العربي إلى حد هذه اللحظة 71.5 مليار دولار. 23.5 مليار مديونية جزائرية رغم فائض الـ 70 مليار دولار إلى الآن الموجود في البنك المركزي و لكن انخفضت من 34 مليار دولار إلى الآن 23.5 مليار دولار ، تونس 12 مليار دولار موريتانيا حوالي 3 مليار دولار ، ليبيا 5 مليار دولار و مقسمة بين روسيا و أوكرانيا و لكن هناك قضية في استرجاع الديون ، هل هي لروسيا أم لأوكرانيا ؟.

الفقر يصل في الجزائر إلى حوالي 25 بالمائة ، و عدد العاطلين عن العمل حسب إحصائيات حكومة أحمد بويحيى تصل جزئيا أو كليا إلى 12 مليون جزائري قياسا بالـ 30 مليون نسمة. تصل نسبة الفقر في المغرب الأقصى إلى حدود 40 بالمائة وفي موريتانيا تصل نسبة الفقر في الأرياف إلى 80 بالمائة ، أما نسبة الفقر في المدن تصل 55 بالمائة .

فهم الواقع يتطلب مقاربة واقعية

هذه صورة متشائمة و أنا أعتبر التشاؤم جزء من الواقع و لا يمكن أن نفهم الواقع إن لم نقاربه مقاربة واقعية من أجل إيجاد الحلول لذلك كيف ستكون الوضعية حين تصبح سنة 2030 في حدود 110 مليون نسمة من بينهم 65 بالمائة من الشباب. كيف يمكن أن نواجه المحيط القريب و البعيد لأن المنطقة الأوروبية ستصبح سنة 2030 في حدود 320 مليون نسمة، يعني كتلة ديمغرافية و اقتصادية و اجتماعية و ثقافية مهمة جدا. الهند تصبح سنة 2030 أكثر من مليار، الصين تقارب مليار و 700 مليون نسمة في 2030. إذن كيف هي أوضاع الشباب ؟ هناك ضرورة للنظر إلى المستقبل. أعتقد أن أهم عنصر في المستقبل هو عنصر الشباب و أن الرهان الحقيقي الذي يجب أن نوليه كل اهتمامنا هو رهان الشباب و أعتقد أن أولويات العقدين القادمين هو أن نستثمر استثمارا فعليا الشباب من حيث حسن التكوين و حسن الإعداد و خلق موارد بشرية متميزة و توفير فرص الحياة الكريمة و العمل على مقاومة اليأس – إن اليأس هو الذي ينتج قوارب الموت و هو الذي ينتج السلاح الإرهابي القاتل. اليأس هو منتج التطرف و هو البيئة المثلى لإنتاج قوارب الموت في البحار و المنتج لهذا الشباب المؤمن بالأوهام الذي لا يقدر الروح البشرية.

نحن في حاجة إلى عقد سياسي

أعطيك مثلا بسيطا في مارس 2004 أعطت جمعية غير حكومية مغربية رقما نشر في الصحافة العالمية و تقول هذه الجمعية بأن عدد الشبان في المغرب الأقصى الذين توفوا و هم يحاولون الوصول إلى اسبانيا 10 آلاف شاب مغربي. هذه الجمعية هي جمعية صيانة الإحاطة بعائلات المهاجرين و هي التي أعطت هذا الرقم، و هو

رقم منطقي قياسا بمئات القوارب التي تبحر أسبوعيا باتجاه اسبانيا.

إذا أيها الإخوة الكرام، إن الاستثمار الحقيقي هو من أجل الشباب و لكن أيضا هو من أجل مقاومة اليأس وتحصينهم ضدّ العنف والإرهاب والقتل و التورط في أشياء واهمة، لأن الشباب المسطح التكوين أو الأمي أو ضعيف الثقافة الدينية هو الشباب الذي يستجلب و يؤطر و يعياً بسهولة. هو الشباب الذي يقبل بالحلول السهلة و ينساق بسهولة وراء أوهام إيديولوجية و دينية. إذا فالاستثمار الحقيقي فهو ضد اليأس. العمل على توفير فرص الحياة الكريمة و توفير التشغيل و لكن هناك شرط سياسي. إن الكرامة الاجتماعية الاقتصادية المادية لا تنفصل عن الكرامة السياسية. فإذا كنا نحن إزاء نظم لا تسمح بتوسيع قنوات و إمكانيات و دستورية شبه مينة أو دونما روح و فاعلية.

الشباب يفتقر للقدوة

المشكلة الحقيقية تتمثل في وجود صعوبات اقتصادية و اجتماعية لا أحد ينكرها و لكنها تتعمق و تتجدّر حين يضاف إليها الصعوبات السياسية جراء الانغلاق و الإقصاء و التهميش . و أما مسؤولية المجتمع المدني فعليه أن يساهم في تأطير الشباب من خلال الأحزاب و الجمعيات و التنظيمات و الرابطات...مسؤولية المجتمع أن يخلق القدوة للشباب...فالمشكلة الكبرى التي يعيشها شبابنا اليوم أنه لا توجد القدوة التي يمكن أن يقيد بها في مجال العمل العام و الاقتصاد. لا حظوا ما يستثمر من مال في مجال القنوات الفضائية الهابطة لاعتبارات تجارية أو سياسية إلى غير ذلك... نحن في حاجة إلى عمل موازي يبرر القدوة الايجابية ، يبين أمثلة النجاح للشباب و يخلق فرص فضاءات الحوار و يسمح لهم بأن يصنعوا بأصواتهم حتى و إن كانت غير موفقة و غير دقيقة و علمية. يعني الاستماع إلى الخطأ بشكل علني و صريح أفضل من الإبقاء عليه مستورا. العنصر الثالث كما قلت هو عنصر المجتمع علينا نحن كرجال تعليم ، إداريين، مناضلين أن نبرز القدرة الايجابية ، أن نعطي أمثلة لأنه يجب أن نؤمن بأن المغرب العربي ليس فقط مغرب الحكام – هذا خطأ فادح يقع فيه البعض- المغرب العربي أيضا مغرب الشعوب. نحن في نفس الباخرة فإن أسانا التعامل مع هذه الباخرة، إن خربناها أو لوثناها أو أسانا إليها فالمرود على الحاكم أو المحكوم و على الشباب بدرجة أولى. فلماذا تبادر حركات متطرفة و لا يبادر المجتمع المدني.

أختم و أقول: نحن في حاجة اليوم إلى عقد سياسي، ثقافي ، اجتماعي بين كل مكونات المجتمع المدني ، بين الحاكم و المحكوم بين الحاكم و المجتمع المدني بين الحاكم و كل الفعاليات الأخرى، أن نبرز المثال الايجابي الذي يمكن أن نُحتدي ، ان استقلنا فعند اذ لا يجب أن نسأل عم مسير الباخرة. و شكرا جزيلاً لاهتمامكم.

• **عبد اللطيف الفورتي:**

شكرا على كل هذه المعطيات، التي هزنتني شخصيا حتى الأعماق. فقط أريد أن أتوقف في دقيقة واحدة عند نقطة معينة. عندما استعرض هذه الأرقام لا بدّ أن أقف عند نقطة نظام. هل كنا موفقين سنة 1966 عندما انطلقنا في التنظيم العائلي أم لا ؟ و هذه هي النقطة التي أريد أن أصل إليها بالنسبة للأرقام التي قدّمها الدكتور وناس بشأن التطور الديمغرافي بالمنطقة. وأحيل الكلمة مباشرة إلى الأستاذ سامي براهيم الذي سيجدثنا عن الجذور الفكرية للعزوف السياسي لدى الشباب نموذج التيارات السياسية السلفية الجهادية.

سامي براهيم:

الجذور الفكرية للعنف السياسي لدى الشباب :

السلفية الجهادية نموذجا

في البداية أريد أن أثنى عقد هذه الندوة من طرف حركة الديمقراطيين الاشتراكيين التي نتمنى لها دوام الصحة و العافية لتستأنف مشاركتها الفاعلة و تفعيل الحراك السياسي داخل البلد.

تصدير : أورد ابن القيم ردّ أبي الوفاء ابن عقيل على أحد الفقهاء في تعريف السياسة الشرعية " السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس أقرب معه إلى الصلاح وأبعد عن الفساد و إن لم يشرعه الرسول صلى الله عليه و سلم و لا نزل به وحي فإن أردت بقولك – لا سياسة إلا ما وافق الشرع – أي لم يخالف ما نطق به الشرع فصحيح و إن أردت ما نطق به الشرع فغلط و تغليب للصحابة "

من كتاب أعلام الموقعين عن ربّ العالمين " م 4 ص 283 "

* مقدمات منهجية : هل العنف السياسي لدى الشباب ردّ فعل طبيعي محكوم بدوافع نفسية و اجتماعية و اقتصادية أم ترجمة لفكرة لها مقوماتها وأسسها و مرجعياتها ومنطقها الداخلي المغلق ؟

تعتبر ظاهرة العنف السياسي لدى الشباب ظاهرة معقدة لا يكفي لتفسيرها الركون إلى المقاربات الميكانيكية من قبيل المقاربة النفسية أو الاجتماعية الاقتصادية أو السياسية . إذ تعتبر المقاربة الأولى التي جسدها المخرج التونسي الثوري بوزيد في " آخر فيلم " أن نزوع الشباب إلى الانخراط في سلوك سياسي عنفي و لا سيما العمل الانتحاري إنما هو محاولة لإثبات رجولة منتهكة و فحولة مهدورة في سياق سوسيوثقافي أبوي باترياركي يمارس فيه الأب داخل الأسرة و الحاكم في المجتمع دور الفاعم، فتبدو الشخصيات العنيفة مرضية تحت وطأة الانسحاق و الإحساس بالخصاء، ويكون السلوك العنفي الذي يبلغ ذروته مع الرغبة الطوعية في " الاستشهاد " شكلا من أشكال الانتصار لهذه الرجولة المنتهكة لإثبات الذات والاحتفال ببطولة محاطة بكتافات عاطفية دينية و هالة قدسية يتداخل فيها

الحاضر بالماضي التلديد و بطولاته في الفتح و قتال الكافرين.

أما المقاربة الثانية فتصدر عن تفسير مادّي اقتصادي يعتبر أنّ هذه الظاهرة هي نتاج طبيعي " حتمي " لأوضاع الفقر و الحرمان و التفاوت الطبقي الفاحش و التهميش الاقتصادي و الاجتماعي خاصّة و أنّ العديد من الفاعلين في هذا المجال ينحدرون من أحزمة الفقر في العواصم و المدن الكبرى، و هذه الأوضاع تطال الشّباب بصفة خاصّة إذ هو المعنى بالتفكير في المستقبل الأفضل لبناء حياة جديدة و تأمين العيش الكريم فليس العنف السياسي في ظلّ هذه الأوضاع إلا تعبيراً عن اليأس من تغيير الأوضاع و رغبة في الانتقام من مركزية رأس المال .

أما المقاربة الثالثة فتصرّ على أنّ الاستبداد السياسي و تضيق هامش الحريّات العامّة و الأساسيّة والمشاركة في الشّأن العام إضعاف المجتمع المدني و مؤسساته و تهميش الحياة السياسيّة فضلاً عن انتهاكات حقوق الإنسان ... كلّ ذلك أدى حسب هذه المقاربة بالشّباب و هم يمثلون 60 بالمائة من المجموعة الوطنيّة إلى اليأس من التغيير السلمي للأوضاع والانخراط في سلوك انقلابي لتغيير أنظمة الحكم أو انتقامي لإضعاف أنظمة الحكم و إرباكها.

مخاطر التفسير الآلي لظاهرة العنف

إنّ الحرج في هذه المقاربات - فضلاً عن تبريرها و لو بشكل ضمنى ظاهرة العنف السياسي - هو التفسير الآلي الذي تقدّمه الوقائع و الملابس التي تحفّ بالظاهرة. فأغلب المورّطين في أحداث العنف السياسي تحت مسمّى السلفيّة الجهاديّة هم من الجامعيين الذين يعيشون في أوساط متوازنة اجتماعياً و اقتصادياً بشكل يجعلهم قادرين على التحكم في ردود أفعالهم واختيار سلوكهم السياسي و يبدو تصويرهم على أنّهم شخصيات باتولوجيّة مضطّرة لسلوك العنف مجاناً حسب تقديرنا للصواب . كما أنّ انخراط العديد من المنتهين إلى أوساط المرفهين بل المترفين في هذه الظاهرة ينسب الرّبط الآلي بين الفقر و الإرهاب.

أما لو اعتبرنا القمع السياسي و انتهاك الحقوق مؤلداً حتمياً للعنف السياسي لكان المتضرّرون المباشرين من هذه السياسات هم الفاعلين الأساسيين في ذلك السلوك العنفي و لكان لهم من المبررات ما يسوّغ سلوكهم وفق هذه المقاربة ، كما نجد في التجربة المغربيّة مثلاً يفند هذه الأطروحة المتهافئة إذ لم يشفع لها لدى أصحاب خيار العنف انتهاجها سياسة جدية صادقة في الإصلاح و المصالحة قطعت أشواطاً كبرى في ذلك وصلت إلى حدّ الاعتراف بالانتهاكات رسمياً و تعويض المستهدين بعد جلسات استماع علني ... إنّ هذه الحالة السياسيّة المغربيّة الفريدة لم تمنع من اختاروا نهج العنف السياسي من تنفيذ عمليّات تفجير مدمّرة استهدفت الأبرياء من المغاربة و السياح .

العنف الديني ترجمة أيديولوجية

إننا نصدر في نقدنا و تنسيبنا لهذه المقاربات من اقتناعنا بأنّ العنف السياسي لدى الشّباب تحت لافتة السلفيّة الجهاديّة هو بالأساس ترجمة عمليّة لمجموعة من الفئات الفكرية و الفتاوى التي لها مقوماتها و أسسها و مرجعيّاتها و منطقتها الداخلي المغلق، و ليست الملابس التي أشار إليها أصحاب المقاربة التفسيرية و الاجتماعيّة الاقتصاديّة و السياسيّة إلا معطيات ثانويّة مصاحبة ربّما ساهمت في تغذية الظاهرة و لكن بشكل غير آلي تقضي فيه المقدمات إلى النتائج.

كما نريد في هذه التمهيد المنهجي أن ننأى عن مقاربتين أخريين نقدّر قصورهما عن تفسير الظاهرة فضلاً عمّا بدا لنا فيها من انتهازيّة سياسيّة و محاولة لابتزاز المجموعة الوطنيّة و لاسيما الدولة بقصد أو بغير قصد لفائدة الدّفع نحو خيار سياسي ما . أمّا الأولى فتحاول أن تسوّق أنّ إحكام القبضة الأمنيّة على الإسلام السياسي المعتدل ترك المجال واسعاً أمام الظاهرة السلفيّة لتصوغ عقول الشّباب. و فضلاً عن نبرة الشّماتة المضمّنة في بعض ما يكتب باسم هذه المقاربة على الإنترنت فإنّ النتائج التي تقضي إليها ضمناً أن أصحابها يرشّحون أنفسهم للعب دور المنقذ و المتصدّي للظاهرة السلفيّة مقابل تطبيع سياسي ما. و فضلاً عن لا أخلاقيّة هذا الطرح فإنّه يسقط من جديد في سياسة توظيف عائلات فكريّة و سياسيّة لتحجيم دور أخرى حسب مقتضيات المرحلة، و هي سياسة تبيّن فشلها و قصورها .

أما المقاربة الثانية فتحاول أن تسوّق أنّ تخفيف القبضة الأمنيّة في السّنوات الأخيرة عن الظاهرة الدّينيّة و التراجع النسبي عن سياسة تجفيف منابع و عدم الذهاب بها إلى أقصاها و التضييق على التيار التقدّمي الليبرالي هو الذي ترك المجال لتجدد الظاهرة في أقصى مظاهرها عنيفة و يسقط أصحاب هذا الطرح في نفس المنطق الانتهازي السابق بغاية ابتزاز المجموعة الوطنيّة و الدولة لصالح توجّه سياسي يجد صعوبات في التواصل مع الجماهير و مثل أصحاب الطرح السابق يعرض أصحاب هذه الرّؤية أنفسهم للقيام بأدوار مباشرة تحدّ من ظاهرة العنف السياسي باسم الدين.

1- تاريخ الدّعوة السلفيّة

1- سلفيّة ابن تيمية

لفظ السلفيّة نسبة للسلف الصّالح الذي حمل الإسلام الأوّل و نقله للأجيال اللاحقة، تبعاً لذلك يفترض أن يكون كلّ المسلمين سلفيين. غير أنّ لفظ السلفيّة اكتسب دلالة اصطلاحية مذهبية مع ابن تيمية 728/661 هـ (القرن 14 ميلادي) و تلميذه ابن القيم ت 751 هـ . و قد عاب ابن تيمية على المسلمين في عصره جملة من السلوكات التي عدّها انحرفاً عن منهج السلف الصّالح يتعلّق بعضها بالعقيدة كالنوّسل بالأموات و التمسّح على القبور ... و البعض الآخر بالتشريع كتقديس المذاهب الفقهيّة و

الحركيين من أنصار المذاهب و المجموعات السياسيّة و الدّينيّة.

3 - من العقيدة إلى الجهاد

عرفت الحركة السلفيّة انتعاشة كبرى إبّان الجهاد الأفغاني ضدّ الإتحاد السوفياتي ، حيث لَبّى الكثير من الشّباب العربي نداء العلماء و الدّعاة لمواجهة الغزو الرّوسى الشيوعي لأفغانستان و قد دعم مشايخ السّعوديّة " القاعدة المركزيّة للعقيدة السلفيّة " هذه الحركة الجهاديّة التي قاد الجناح العربي فيها الشّيخ عبد الله عزّام . و كان الهاجس الأساسى لفصائل الجهاد مواجهة العدو الذي كان عدوّاً واحداً هو " الغازي الأحمر » و تداخل في هذه المواجهة الدّفاع عن العقيدة بالدّفاع عن الأرض و الوطن. كما لم تمنع أجواء القتال من النقاش و الجدل الحادّ بين أقطاب هذه الحركة حول مستقبل الجهاد و استراتيجيّاته العالميّة و حكمه في الدّول العربيّة و الإسلاميّة التي لا تحكم بالشريعة الإسلاميّة... و شهدت هذه النقاشات اختلافاً في وجهات النظر و تبايناً في الرّؤى، غير أنّ آثار هذا الخلاف لن تظهر إلا لاحقاً.

4 - السلفيّة المعاصرة

تمكّنت العقيدة السلفيّة بخلفيّاتها الكلاميّة و الفقهيّة و السياسيّة من الانتشار اللافت في المنطقة العربيّة و الإسلاميّة منذ ما يزيد عن عقدين من الزّمان و ذلك للاعتبارات التّالية:

* دعمها السّابق للجهاد الأفغاني و تسويقه إعلامياً بكلّ كتّافاته الإيمانيّة العاطفيّة التي تحيل على الفتوحات الإسلاميّة .

* إغراق السّاحة بأدبيّات مشايخ السلفيّة من أمثال ابن عبد الوهاب ابن الباز و ابن عثيمين والفوزان و تلاميذهم فضلاً عن رسائل مبتسرة لابن تيمية و ابن القيم و ابن الجوزي .

* الاستفادة القصوى من الانفجار الإعلامى الفضائى و الرّقمي عبر الفضائيات و شبكة الإنترنت.

و قد ساهم ذلك في التعريف بالعقيدة السلفيّة و تسويق آرائها في تصحيح العقائد و فتاوى شيوخها و علمائها في شتى مجالات الحياة و ردودهم على أصحاب المذاهب و العقائد الأخرى.

5 - انفجار الفضاء السلفي

حافظت العقيدة السلفيّة طيلة عقود على صفتها كحركة إصلاح و تصحيح و إنقاذ للمسلمين، كما حافظت على برقيها الثوري التي استمدت من دعمها للجهاد الأفغاني. لكنّ ذلك لم يستمرّ إذ عرفت هذه الحركة انقسامات حادّة و إن حافظت على وحدة المرجعيّة العقائديّة. و نجم أهمّ الأسباب التي أدت إلى هذا الانقسام في النقاط التّالية :

* الانفتاح الإعلامى الذي وضع الفكر السلفي على محكّ الاختبار و المواجهة أمام تجارب إسلامية أخرى.

* حرب الخليج الأولى التي أدت إلى دخول الجنود الأمريكيان إلى أرض الحجاز.

الرّكون إلى التقليد، لذلك دعا إلى العودة إلى ما أطلق عليه العقيدة السلفيّة الصّافية. و ناقش ابن تيمية المذاهب الكلاميّة و عقائد الفرق التي عاصرها في كتب متعدّدة جمعت في مدوّنته الضخمة " الفتاوى " . و يبقى ابن تيمية شخصيّة إشكاليّة مثيرة للجدل لأنّ ما خلفه من آثار إذا لم تقرأ قراءة نقديّة تاريخيّة ستكون بمثابة السّلة العجيبة التي يجد فيها كلّ ضالّته : التكفيريون و المتسامحون و التقليديون و التجديديون على حدّ سواء.

2 - من العقيدة إلى السياسيّة

تعتبر الحركة الوهابيّة " نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب 1703/1792 م » الترجمة السياسيّة للعقيدة السلفيّة على أرض الحجاز، و قد ثمن الكثير من علماء المسلمين نزعتها للإصلاح و لكنّهم عابوا عليها التشنّد في بعض الأحكام و العنف في التطبيق. و قد تواصلت هذه التجربة عبر تحالف سياسي عسكري استراتيجي بين عائلتي آل الشّيخ ابن عبد الوهاب و آل سعود أدّى إلى قيام المملكة العربيّة السّعوديّة . و لم يكن المحيط العربي الإسلامي بمنأى عن التّأثير الفكري لهذه التجربة التي آلت على نفسها تصحيح العقائد ومقاومة البدع . و نذكر في هذا السّياق الرّسالة الوهابيّة الشّهيرة التي أرسلها محمد بن عبد الوهاب إلى أهل تونس سنة 1803 م يدعوهم فيها إلى العقيدة السلفيّة بـ " الحجّة و البيان ومن لم يجيبها دعوانه بالسيف و السّنان " كما ذكر في الرّسالة التي حرّرها محمد بن عبد الوهاب بنفسه و أوردها ابن أبي الضيّاف 1802/1874 م في الإتحاف ج 3 قانلاً " و لمّا شاعت فتنة الوهابي وردت رسالته إلى الحاضرة " و قد طلب حمودة باشا 1759/1814 الذي وصلت الرّسالة في عهده من علماء الزيتونة الردّ عليها فكتب الشّيخ إسماعيل التميمي مثلاً كتاب " المنح الإلهيّة في طمس الضلالة الوهابيّة في 154 صفحة، و تولى ابن أبي الضيّاف نفسه الردّ . و قد لاقت دعوة ابن عبد الوهاب تعاطف بعض التّونسيين خاصّة في ما يتعلّق بالتوسّل بالأولياء و التبركّ بقبورهم و من هؤلاء الشّيخ أبو العباس البارودي ت 1856 هـ الذي أفتى بتهديم الحجر المعروف بـ " كرسي الصّلاح " على شاطئ سيدي بوسعيد . لكنّ تآثير الدّعوة الوهابيّة بقي محدوداً في تونس لتغلغل العقيدة الأشعريّة و التّصوف السنيّ في تونس . و في المقابل كان تآثير حركة الإصلاح الدّيني التي وسمت بـ " السلفيّة الجديدة " و الذي قاده السيّد جمال الدّين الأفغاني و محمد عبده لافتاً في المنطقة العربيّة و لاسيما في حاضرة تونس خاصّة بعد زيارة محمد عبده سنة 1884 م . و قد استلهمت حركات التحرّر الوطني إبّان الاستعمار مضامين الإصلاح و التجديد التي تضمّنها مشروع عبده و الأفغاني لكن بعد قيام الدّولة الوطنيّة لم تجد هذه الحركة من يستأنف مسارها و يعمّق فكر التّوير و التّجديد. فلا الدّول الناشئة ولا المؤسّسات الدّينيّة الرسميّة ولا الحركات الإسلاميّة كانت امتداداً حقيقيّاً لحركة الإصلاح الدّيني. و قد ترك هذا الانقطاع أثراً بالغاً على الفكر الدّيني و نمط التّدنّ عموماً إذ تركه عرضة للتّأثير المباشر للدّعاة و الوعاظ و

* الضغوط التولوية و الأمريكية بصفة خاصة لتغيير مناهج التعليم و الخطاب الديني.
لقد أدت هذه الأوضاع إلى أزمة هوية في الضمير السلفي استجابت لها كل فئة بطريقتها فأصبحت السلفية سلفيات و أدى الانفجار على مستوى المركز إلى انفصال على مستوى الأطراف. و يمكن إجمال مختلف الفروقات على النحو التالي:

* السلفية الولائية : هي بمثابة السلفية الأمّ التي تدين بالولاء لولاية الأمر و تحرّم الخروج عليهم.

* السلفية " العلمية " : هي التي تهتمّ بإصلاح العقائد دون الاهتمام بالشأن السياسي

* السلفية الإصلاحية : هي التي تروم مراجعة بعض العقائد السلفية و لاسيما الفتاوى التي تتعلق بالشأن السياسي و الاجتماعي بغاية فتح هامش للمشاركة في الشأن العام و إصلاح المجتمع دون الخروج عن ثوابت العقيدة السلفية . و يمثل هذا التوجه الشيخ سلمان العودة و سفر الحوالي في السعودية.

* السلفية السياسية : و تؤمن بالمشاركة السياسية و التأثير عبر الانتخابات و الحياة البرلمانية و يمثلها أحمد المطيري في الكويت.

* السلفية الجهادية : و تؤمن بالقتال باعتباره أداة للدفاع عن أراضي المسلمين و الدعوة للإسلام في العالم و إقامة شرع الله و دحر الصليبية و الصهيونية. و تعتبر منظمة القاعدة بشكل صريح و عملي عن هذا الخيار .

6 - السلفية الجهادية

يمكن أن نخترل أهم العوامل المباشرة التي أدت إلى انفصال التيار الجهادي عن الحركة السلفية الأمّ إلى ثلاث :

* دخول الجنود الأمريكيان إلى أرض الحجاز " الأرض الحرام " وما أدى إليه من رجّة في ضمير السلفيين الذين رفضوا هذا التواجد الأمريكي لا من منطلق سياسي فقط بل من منطلق ديني يتعلق بفهم الآية " إنّما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا " و عدّوا تبعاً لذلك أرض الحجاز كلها أرضاً حراماً و وطّوها من طرف المشركين انتهاكاً للحكم الإلهي يأثم الساكت عن مقاومته ، و كفّروا حكّام المنطقة الذين أجازوا هذا الانتهاك و دعوا لقتالهم دون احتفاء بما قدّمته السلفية الأمّ من تيريرات فقهية من قبيل أنّ حكم الأمريكان هو حكم المعاهد الذي يجوز الانتصار به فضلاً عن وجوب طاعة وليّ الأمر و احترام العهود التي يوقعها.

* انضمام فصائل من الجماعة الإسلامية و التيار الجهادي المصري - بما له من تقارب فكري و تقاطع إيديولوجي مع التيار السلفي بفعل الأفكار التي رسّخها كتاب معالم في الطريق لسيد قطب - إلى صفوف السلفية الجهادية من خلال التحالف بين أسامة بن لادن و أيمن الظواهري .

* انقلاب الجيش الجزائري على الانتخابات التشريعية في الجزائر و ما أدى إليه من فتح بؤرة جديدة

للغنف السياسي عمّقت لدى شرائح من الشباب اليأس من الخيار السياسي السلمي و دفعت إلى تبني العنف خياراً لإقامة دولة الإسلام و تطبيق شرع الله.
لقد أدت هذه العوامل إلى تصنيفات جديدة للعدوّ و أولويات الجهاد و أشكاله و أساليبه و وظّف في سبيل بلورتها كلّ المخزون النظري السلفي العقائدي و الفقهي.

II - فقه المنظومة السلفية للدعوة و القتال

أ / فقه التأويل

1- الحاكمية : لسنا معنيين في هذا المقال بتتبّع مصطلح الحاكمية في مختلف السياقات العلمية و السياسية التي استعمل فيها و لكننا نروم أن نبرز تمثّل الشّباب السلفي المعبّئ بإيديولوجيا الجهاد لهذا المصطلح المركزي في أدبيات الإسلام السياسي عموماً . و يفهم من الحاكمية في الخطاب السلفي الجهادي المسموع و المقروء و جوب أن يعمّ الإسلام عقيدة و طقوساً و عبادات و شريعة و سلوكاً و أخلاقاً جميع أنحاء المعمورة . و هو تصور رغم طوباويته و منافاته لطبيعة الخلق مشروع إذ تروم كلّ إيديولوجيا أممية سواء كانت تصدر عن مرجعية دينية أو فلسفية أو سياسية أن تسيطر على العالم و تقوده إلى الخير و الصّلاح ثمّ تكشف شيئاً فشيئاً بعد الصّدّام مع الواقع طوباوية هذا التصرّو.

غير أنّ المقلق في هذا التمثّل للحاكمية أنّه يعتبر الاختلاف بين البشر ظاهرة شاذة طارئة على الوجود و هي بمثابة الجاهلية التي تستوجب الهجرة و الدعوة و القتال . و عوض أن يتأسس الاجتماع البشري الكوني على مبدأ الاختلاف و التعارف باعتبارهما من صميم المشيئة الإلهية كما قرّر القرآن، يكرّس مفهوم الحاكمية كما تتمثله السلفية الجهادية مبدأ المابينة و المفاصلة بين أهل الحقّ من الطائفة الإسلامية المنصورة و من عداهم من المختلفين سواء كانوا من أهل القبلة أو من أهل الأديان و الثقافات الأخرى.

2- إنفاذ الحاكمية : يستشعر الشّباب السلفي المقاتل المسؤولية الفردية و الجماعية على إنفاذ هذه الحاكمية في الأرض باعتبارها مشيئة إلهية خلق البشر من أجلها و فرض على المسلمين في كلّ زمان و مكان فرض عين المساهمة في إنفاذها و إعداد القوة لذلك بداية من تصحيح العقيدة إلى تأسيس الجماعة المقاتلة .

3- الحاكمية و الحكم الشرعي : صادرت المنظومة السلفية وريثة مذهب أهل الحديث و المقاربة الانتقائية لرسائل ابن تيمية على أنّ الحاكمية هي الحكم بما أنزل الله و يقصد بالحكم المطابقة إلى حدّ المماهة بين خطاب التنزيل و ما يفهم من هذا الخطاب، أي المطابقة بين المقصود الإلهي للنصّ و التمثّل البشري له . فالأحكام هي ما يصرّح به النصّ " قرأنا وسّنة و إجماعاً " من أوامر و نواهي ضمن مسلك ظاهريّ حرفي في الفهم يجرّم التأويل والرأي.

ب / فقه التّحكيم :

كيف سيكون موقف الشباب السلفي عندما ينزل إلى أرض الواقع محملاً بهذه العقائد والطموحات و الأشواق الإيديولوجية المحاطة بكثافات العاطفة الدينية ؟
1- التعديل و التجريح :

تبدأ ترجمة العقائد السلفية في الواقع من خلال تطبيق منهج التعديل و التجريح على أفكار الناس، و هو منهج مستقى من علوم الحديث و يتم بمقتضاه تمييز العدول و الثقة من الرواة عن غيرهم و ذلك بالتدقيق في سيرتهم الذاتية و أخلاقهم ، فيجرح في عدالتهم بمجرد اكتشاف شبهة أو زلة. و هذا المسلك الصارم مطلوب في ضبط الصحيح من المرويات المنسوبة للرسول التي عليها تتأسس الكثير من الأحكام و العبادات و العقائد. غير أن فئات من علماء السلفية ودعاتهم ارتأوا سحب هذا المنهج على آراء الناس و أفكارهم و اجتهاداتهم بغاية تمييز العقائد الصحيحة من الباطلة و التشهير بهذه الأخيرة و تحذير المجتمع منها وكثيرا ما يتم هذا النشاط في أوساط المتدينين من الشباب بعيدا عن الضجة الإعلامية ورقابة أهل الاختصاص من علماء الدين . من ذلك الموقف التكفيري الذي يتبناه أتباع تلميذ ابن باز " ربيع المدخلي " المنتشرون في تونس بكثافة من العقيدة الأشعرية و الذي يعملون على ترسيخه في عقول الشباب من المتدينين و لاسيما الطلبة. إن أخطر ما في هذا المنهج أنه لا يفرق بين أحاديث الرسول التي يفترض فيها الصحة و آراء الناس التي يفترض فيها الاجتهاد المفضي للصوص و الخطأ.

2- التكفير :

لقد كان من الطبيعي أن يفرض منهج التعديل و التجريح الذي تخضع له عقائد الناس و عباداتهم أفكارهم و سلوكياتهم إلى تصنيف أهل القبلة إلى مؤمنين على منهج العقيدة الصحيحة وكافرين مشركين سواء كان شركهم ظاهرا أو خفيا أو تعلق بالأصول أو الفروع. غير أن خطورة التكفير لا تكمن في إطلاق حكم معياري يوصف ما في ضمير المرء من معتقد يوافق ما عليه الجماعة أو يخالفه بل يتعدى ذلك إلى تصنيف اجتماعي له تبعاته الاجتماعية والأخلاقية... فالحكم بكفر فلان أو إيمانه مسألة ذات أبعاد إشكالية متعددة يمكن أن تترتب عنها جملة من الأوضاع الاجتماعية الفردية و الجماعية. ويمكن إجمال تلك الإشكاليات في المستويات التالية:

* الانتماء للمعتقد الديني : إذا كان الإسلام الأول قد قنع من الداخل في الدين الجديد بمجرد النطق بالشهادتين فإن المستجدات السياسية و الاجتماعية اللاحقة أثارت جدلا كلاميا واسعا حول ما يكون به المؤمن مؤمنا و الكافر كافرا ، و قد وصل هذا الجدل إلى حد تكفير أهل القبلة بعضهم بعضا فضلا عن تكفير أهل الديانات الأخرى و أصحاب الفلسفات. و يزداد الأمر تازما مع العقيدة السلفية التي وسعت من متطلبات الإيمان لتدخل فيه مسائل كلامية اعتبرت من شروط صحة الإيمان التي يكفر بها من ثبت عدم استجابته لها.

* تأويل النص الديني : إن قراءة حرفية تجزيئية للنص الديني تثير الكثير من التساؤلات حول ما اصطلح الأصوليون على تسميته بتعارض الأدلة ، فتحديد معايير الكفر و الإيمان وأحكامهما تختلف من نص إلى آخر . فإذا كانت بعض النصوص تركز حرية المعتقد و بطلان الإكراه في الدين و السيطرة على المخالف و حصر وظيفة الدعوة في التذكير فإن نصوصا أخرى كثيرة تدعو إلى قتال المخالفين حتى يدخلوا في الدين و يذعنوا لأحكامه. كما نجد نصوصا تصنف أصحاب الديانات السماوية ضمن أهل الكتاب و تدعو إلى مجادلتهم والتي هي أحسن و تؤجل الفصل بينهم و بين مختلف أصحاب الديانات إلى اليوم الآخر بينما نجد نصوصا أخرى تدعو إلى قتالهم مما يفيد أن إشكالية الكفر و الإيمان تأويلية. و نزعنا السلفية إلى مقارنة انتقائية لا تاريخية أفضت إلى تأويل حرفي تجزيئي ضيق الأفق يوظف آلية النسخ لإبطال مفعول الكثير من الآيات و الأحاديث التي تؤمن حرية المعتقد و تحمي حرمة الناس بقطع النظر عن معتقداتهم.

* الانتماء إلى الجماعة : لقد وقع الانزياح من الكفر باعتباره اعتقادا يتعلق بضمير المعتقد إلى محدد لهيئة الانتظام الاجتماعي ، فالإقرار بالشهادة ليس مجرد إسهاد للناس على ما في قرارة النفس من معتقد بل إعلان عن الانتماء إلى الجماعة و عن مسؤولية الانتظام في ظل القيم و القوانين التي تنظمها و الدخول بالتالي في عقد الولاء لها و هو ولاء متعدد الأبعاد : عقدي و أخلاقي و قانوني و سياسي يتمتع المؤمن بمقتضاه بالحماية و الرعاية و الحقوق. ويتعدّد الوضع عندما تتوضع مجموعة ما على شروط خاصة للإيمان و الكفر تصنف الناس بمقتضاها فيترتب عن ذلك تحديد أوضاع اجتماعية تتعلق بالمركز و الهامش والداخل والخارج و دار الإيمان و دار الكفر أو دار الإسلام و دار الحرب أي رسم حدود الأمة سياسيا و ثقافيا و جغرافيا و رسم حدود الجماعة المسلمة و الفرقة الناجية.

* المصير الأخروي و الجزاء : لقد وقع الانزياح بهذا التصور التاريخي عن هيئة الانتظام الاجتماعي من الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة مع إسقاط نفس تلك الصورة التاريخية على العالم ما فوق التاريخي. و رغم ما ترسخ في الضمير الإسلامي من أن الثواب و العقاب و تحديد المصير الأخروي بعد الموت موقوف على المشيئة الإلهية فإن الناطقين عن سلطة الحقيقة الدينية قد صادروا على مصير من عدّوهم خارجين من دائرة الإيمان و هو الخلود في العذاب.

3- الولاء و البراء :

إن الحكم بإيمان طوائف من المسلمين و تكفير آخرين يؤدي بالضرورة إلى موقف الولاء لمن يوافقون عقيدة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة و التبرؤ ممن جرحوا و ثبت كفرهم و فساد عقائدهم و أفكارهم و خروجهم عن منهج السلف الصالح. و التبرؤ في هذه الحالة واجب شرعي يفترض بغض السلوكات الشركية و أصحابها حتى يعلنوا توبتهم.

4- مفاصلة المجتمع:

إنّ هذا التسلسل الذي يتوقّف على منطق داخلي متين في ظاهره يؤدي ضرورة إلى مفاصلة المجتمع أي الوقوف منه على مسافة تتجاوز البراءة باعتبارها مقاطعة صامتة أو سلبية إلى ضرب آخر من السلوك القائم على الالتزام بمباينة من يفترض أنّهم أهل بدع و ذلك بعدم مخالطتهم بالمصادقة أو المضايقة و المواكلة بل و حتى إفساء السّلام و عدم مشاركتهم في الشؤون الاجتماعيّة العامّة كالّتجارة و المصاهرة ... و هو وضع يؤدي إلى انقطاع عاطفي عن المجتمع ربّما يفسّر إقدام الجماعات السلفيّة الجهاديّة بكلّ برود على استهداف المدنيين والأبرياء . و من المفارقة أنّ منطق المفاصلة أدّي بعدد من الشباب التلميذ و الطالب إلى الانقطاع عن الدراسة و الانخراط في نشاطات هامشيّة مثل تسويق بعض البضائع الرخيصة لأنّ أجواء التعلّم غير شرعيّة كما أنّ المؤمن لا يسأل في قبره عن العلوم الدنيويّة بل عن العلوم الشرعيّة و خاصّة المتعلقة منها بالعقيدة و القرآن.

5- الجاهليّة:

عندما يكتشف أصحاب هذه العقيدة الوثوقيّة أنّ المجتمع مليء بالتناقضات و التنوّع والاختلاف و يدركون المسافة التّاسعة بين ما يفترضون أنّه العقيدة الصّحيحة و واقع المجتمع لا يجدون من أفق نظري إلا الحكم بجاهليّة المجتمع فيتعمّق الإحساس بالغربة وضرورة الهجرة ، و هي هجرة داخل المجتمع بل داخل نفس الأسرة . و يستحضر المؤمن بجاهليّة المجتمع كلّ السياقات التاريخيّة القديمة التي حققت بهذا المفهوم ليسقطها على الواقع المعاصر . و لعلّ أهمّ مظاهر هذا الإسقاط الإيمان بوجوب دعوة المجتمع إلى الإسلام من جديد لخروجه عن ثوابته و أصوله.

6- الفرقة الناجية:

في نهاية هذا التّطواف بين العقيدة و الواقع ينكفي الفكر السلفي في حدود القلّة المؤمنة التي يعود معها الإسلام غريباً كما بدأ و هي الطائفة المنصورة و الفرقة الناجية و الجماعة المقاتلة التي تعيد للإسلام مجده الأوّل . و لا يلقى المشيع بهذه المعاني بالا للرأي المخالف أو للنقد أو اللوم لأنّه يستشعر اكتمال الحقيقة لديه و هي مطابقة لمشيئة الله و مدعومة بإلهامه وإرادته.

ت / فقه الإنجاز " التّنزيل "

1- غائيّة الجهاد:

تعتبر الجماعة السلفيّة للدعوة و القتال أنّ الجهاد غاية في حدّ ذاته و ليس مجرد وسيلة فهو عبادة و قربى إلى الله و هو مطلوب لذاته دون التفكير في النتائج إذ الجهاد باب مشروع على الشّهادة و فتح أبواب الجنّة التي تفرع بأجساد الشّهداء . و تتضمّن الأدبيات الدنيوية التي تشحن العاطفة الإيمانيّة و الشوق نحو الشّهادة لملاقاة الرّسول " الذي يسقي الشهيد من يده الشّريفة شربة ماء لا يظمأ بعدها أبداً" .. و غيرها من الصّور التّرجيبيّة التي لا يشغلنا مدى صدقيّتها بقدر ما يشغلنا كيفيّة توظيفها في

معركة أجمع العقلاء أنّها خاطئة . و الجهاد لدى دعاة السلفيّة الجهاديّة هو الدّعوة نفسها فهو السبيل الأوحد للتغيير السياسي و الاجتماعي لأنّ الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. و قد تعمّقت هذه الأطروحة تحت تأثير اليأس من التغيير السلمي عبر المشاركة السياسيّة و الخيار الانتخابي.

2- مراتب الجهاد:

تنبئ السلفيّة الجهاديّة التّقسيم الفقهي الكلاسيكي لمستويات الجهاد إلى ثلاث مراتب :

* جهاد الدّفع و يهدف إلى صدّ العدوان الذي يستهدف دار الإسلام

* جهاد الطلب و يهدف إلى نشر الدّعوة الإسلاميّة و التّمكن للإسلام في العالم

* جهاد الرّدة و يهدف إلى قتال المرتدّين في ديار الإسلام.

و اللافت أنّ جميع هذه المراتب تنطبق على ما يسمّى بدار الإسلام إذ هي محكومة بوكلاء العدو الخارجي الذي يستهدف بلاد المسلمين كما أنّ دار الإسلام التي لا تحكم بشرع الله تحتاج إلى فتح جديد و هي في نفس الوقت تعجّ بالمرتدّين الذين يشوشون عقائد المسلمين ويشككون في الدّين.

3- استراتيجيا الجهاد :

إذا كانت استراتيجيا الجهاد منذ الحركة التّحريريّة إبّان الاستعمار إلى حدود حركة الجهاد الأفغاني تستهدف العدو الخارجي أو العدو البعيد فإنّها منذ أحداث 11 سبتمبر انفتحت على استهداف العدو الداخلي أو القريب . و إن كانت بعض الفصائل الجهاديّة المحليّة في مصر مثلاً أو بعض بلدان آسيا قد تبنّت هذا التّهج منذ زمن فإنّ الأمر تحوّل مع السلفيّة الجهاديّة إلى تعميم هذا الخيار عربياً و إسلامياً بعد عولمته مع منظمّة القاعدة.

4- وسائل الجهاد:

تتطلق الدّعوة للقتال من فهم خاصّ للآية " و أعدوا لهم ما استطعتم من قوّة " الأنفال /8 / 60 يتمّ بمقتضاه تعبئة القلّة المؤمنة من المقاتلين و " الاستشهاديين " في شكل جماعات صغرى تقوم بعمليات خاطفة يحرص المقاتلون على تغطيتها بالصّوت و الصّورة و بإخراج تعبويّ من خلال تراتيل و أناشيد تجيّد مشاعر المتعاطفين و تروّع أنفس المستهدفين ثمّ يقع بثّها في الإنترنت لتعميم الرّسالة في سياق ما أصبح يطلق عليه بالجهاد الإلكتروني الذي يوظف الإنترنت للتعريف بأطروحات السلفيّة الجهاديّة و أهدافهم . و لتمويل كلّ ذلك وقع استنباط فكرة الاحتطاب أو الفيء التي يتمّ بمقتضاها إضفاء المشروعيّة على عمليّات سلب و نهب تستهدف مواطنين و مؤسّسات.

5- أخلاق الجهاد:

بمقتضى المقدمات التّطوريّة السّابقة فإنّ أهمّ قيمة أخلاقيّة يصدر عنها المقاتلون هي " الغاية تبرّر الوسيلة " فظالما أنّ الغاية شريفة وهي إقامة شرع الله على الأرض فإنّ جميع الوسائل مشروعة و إن كانت الاعتداء على الحرمات و الدّماء و الممتلكات العامّة و الخاصّة.

وتعكس هذه المعاني بكلّ حدة فتوى أبو قتادة أحد أنصار النّيار الجهادي التي نشرتها مجلة "أنصار" و الموسومة بـ " فتوى خطيرة الشّان بجواز قتل الذرية و النّسوان " و رفعت هذه الفتوى الحرج عن الجماعات المسلّحة في الجزائر في استهداف المدنيين من الأطفال والنساء و الشيوخ . و تصدر هذه الفتوى عن تأوّل مشوّه لمعطيات تاريخية و فقهية مغلوطة مثل قضية التترس بالمدنيين و جواز قتل أبناء الكافرين ... لقد انتهكت السلفية الجهادية أسمى ما جاء به الإسلام من قيم أخلاقية إنسانية عبّر عنها الرّسول في وصاياه للمقاتلين أيّما كانت الحدية واضحة بين معسكر الكفر و معسكر الإيمان " لا تقتلوا شيئا فانيا و لا طفلا صغيرا و لا امرأة و لا تغلوا و أصلحوا و أحسنوا ... و لا تقتلوا وليدا أو عسيفا (أجيرا) و لا حرّاثين و لا تمثّلوا و لا تعفروا نخلا و لا تحرقوه و لا تقطعوا شجرة مثمرة و لا تدبحوا شاة و لا بقرة و لا بعيرا إلا لمأكلة و سوف تمرّون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصّوامع فدعوهم و ما فرّغوا أنفسهم إليه " بهذه القيم تمكن الإسلام من غزو قلوب الناس و الانفتاح عن العالم . في آخر هذا العرض لما اعتبرناه منظومة سلفية جهادية تمثل الخلفيات الفكرية للعنف السياسي الذي تشهده المنطقة لا بدّ أن نشير أنّ هذه التصورات وردت بشكل صريح و مباشر في الكثير من الأدبيات المقروءة و المسموعة و المرئية في الانترنت بشكل يصعب على الأكاديمي أن يوثقها بالشكل التقليدي المتعارف عليه في البحوث الجامعية فضلا عن طبيعة المنشورات التي تتناولها هذه الجماعات و التي تتسم بطابع السرية و النشر غير الموثق و ما يتسبب فيه من تبعات أمنية و قانونية مجرد امتلاكها و الاحتفاظ، و يمكن أن نحيل في هذا الشّان إلى وثيقة رسمية - عدها الباحثون بمثابة أهم بيان " مانفستو " جامع لإيديولوجيا الأصولية الجهادية - وتوسم بـ " الفريضة الغائبة " لصاحبه محمّد عبد السّلام فرج الذي أعدم على خلفية اغتيال الرّئيس المصري السابق أنور السادات . و قد أدرج هذا الكتاب ضمن ملفات التحقيق و اطلع عليه المحامون ثمّ نشر على شبكات الانترنت ثمّ نشرته إحدى دور النشر المصري و تولّى الأستاذ جمال البنا التعليق عليه . و ما ورد من مضامين في هذه الوثيقة يصدّق بشكل كامل ما نسبناه للسلفية الجهادية . كما نحيل على خطابات أسامة بن لادن و أيمن الظواهري الذين يمثلان العقل المفكر لمنظمة القاعدة التي انضمت إليها مؤخرا الجماعات السلفية الجهادية في المغرب العربي تحت مسمى " القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي " . فطبيعة المادّة إذا و حساسية المعطى الأمني اقتضت عدم الإيفاء بالمعايير التوثيقية اللازمة أكاديميا و إحالة الأفكار على المصادر التي استقيت منها .

آفاق المستقبل

إنّ أهمّ ما نريد التأكيد عليه في هذا المضمار هو أنّ انخراط مجموعة من شبابنا في خيار العنف في غفلة منا هو بمثابة اختراق لمنظومتنا التربوية و الإعلامية و الثقافية و السياسية التي لم تواكب المستجدات الدولية و

الإقليمية و لم تستعدّ لرفع تحدياتها . إنّ من أوكّد المطالب الوطنية حسب تقديرنا هو ضرورة المحافظة على السّلم الأهلي و الأمن الاجتماعي . و إذا كانت المعالجة الأمنية مطلوبة عندما يصبح أمن المجتمع و مقدراته الحيوية مهدّدة فإنّ الاستراتيجية الحقيقية الضامنة للأمن الدائم هي حماية الشّباب من السقوط في مهاوي التّطرف و الغلوّ و العنف الأعمى و ذلك من خلال توفّر جملة من السياسات و المكاسب التي نجمها في النقاط التالية :

* يقتضي السّلم الأهلي الخروج من وضع الاحتراب الداخلي الصّامت بين الدّولة و بين المجتمع و السّلطة و المعارضة و المؤسسات الرّسمية و الجمعيات المدنية المستقلة ممّا يمكن من مدّ جسور الحوار و الثقة لتجاوز حالة الاحتقان السياسي و الاجتماعي و التفرّغ لمعالجة التحديات المطروحة على البلاد كلّ من موقعه .

* توفير هامش الحرية الذي يمكن من فتح حوار جدّي موسّع حول مسائل الدّين و مستجدّاته المحليّة و الإقليمية و الدّولية بقصد تنمية المعرفة الدّينية و تعزيز خيار الإصلاح الذي بدأه علماء تونسويّون أجلاء لا تزال أدبيّاتهم يلقها غبار الإهمال، و العمل على تجذير المقاربة الوسطية للإسلام - التي تمثلها المدرسة التونسيّة منذ ما قبل الاستقلال - في وعي الناشئة من خلال الحوار مع الشّباب المتديّن و تطوير الخطاب الإعلامي الذّيني و مضمون الخطب الجمعيّة لتواكب قضايا الواقع .

* فتح حوار وطني شامل و شفاف و ديمقراطي تشارك فيه كافة فاعليات الدّولة و مؤسسات المجتمع المدني و لاسيما الأكاديميون والنّخب حول مشاغل الشّباب و مشاكله - خاصة تلك المتعلقة بالتشغيل - لتعزيز ثقة هذا الشّباب في المجموعة الوطنية - دولة و هيئات مدنيّة ونخبا - لتلمس آفاق لحلّ مشاكله .

* تعميق خيار إصلاح التّعليم بما يعزّز التربية على القيم الإسلاميّة المستنيرة و ثقافة حقوق الإنسان، و تطوير برامج البحث في مجال العلوم الإنسانيّة و الحضارية و أصول الدّين بما يمكن من ترسيخ المقاربة التاريخية للدّين و علومه و المعارف التي نشأت حول النصّ المؤسّس ، و الدّراسة العلميّة الأكاديميّة للظواهر السياسيّة و الاجتماعيّة و الثقافيّة و الدّينية المستجدة في البلاد و تقديم المقاربة الموضوعيّة التي تفسّر أسبابها و تستنطق منطقها الداخلي و تستشرف مستقبلها و سبل التفاعل معها .

لا خوف حسب تقديرنا على المجتمع التونسي من جرعات أكبر من حرية التعبير ترسخ قيم الحوار الوطني و الإصلاح و تعزيز الثقة و حقّ الاختلاف بين التونسيين . كما نقدّر مسؤوليّة الدّولة الأخلاقية و القانونيّة و السياسيّة في إنجاح هذا المسعى إذا توفّرت الإرادة الجادة و الصادقة لدي كلّ مكونات المجموعة الوطنية بشكل يجعلها قابلة للتّرجمة على مستوى الواقع . و شكرا

• عبد اللطيف الفورتي:

شكرا على هذه المداخلة القيمة التي استغرقت 35 دقيقة و أمر مباشرة إلى الأستاذة سلوى الشرفي.

سلوى الشرفي:

دور الفضائيات في تجذير العنف لدى الشباب

شكرا للسيد عبد اللطيف. سأبدأ انطلاقا من النقطة التي وصل إليها الأستاذ سامي إبراهيم. بينت إحصائيات الاستشارة الوطنية للشباب في تونس أن المؤشرات المتصلة بالانتماء على المستوى الإقليمي لدى الشباب تتعلق أساسا بثلاث فضاءات مرتبة كالآتي: العالم الإسلامي (42.7 %) المغرب العربي (24.2 %) و الوطن العربي (22.6 %) و يأتي الدين في مقدمة العناصر المحددة للهوية (48.5 %) تليه اللغة (35.7 %) ثم التاريخ (8 %).

إن يرى شبابنا نفسه مسلما أولا، لذلك فهو يضع انتماءه للعالم الإسلامي فوق انتماءه الوطني. والنتيجة أن اهتمامه بالقضايا التي تحدث في مناطق إسلامية يفوق اهتمامه بقضاياه المحلية، مما يجعله يخدم هذا الفضاء على حساب وطنه. فهو لن يتردد في تفجير الوطن لتحقيق هدف يعتقد أنه أعلى حيث يظن مثلا أن قتل عدد من السياح الغربيين في جربة هو عمل جهادي ضد حلفاء أعداء طالبان في أفغانستان فضاء انتماءه الأصلي بالنسبة إليه.

الجنوح نحو العنف : البحث عن الخلل

فما الذي يجعل الشباب التونسي يرى الأشياء بهذا المنظار و هو الذي يحمل الجنسية التونسية و يتحدث اللهجة التونسية ؟. كيف يمكن أن يتغلب عنصر واحد من الهوية على بقية العناصر مفندا بذلك نظرية النسق التي تقول بتفاعل مجمل العناصر عند تحديد المواقف و تحركها بتكامل ؟. إنه دليل على خلل ما طرأ على النسق المعرفي للشباب التونسي يرجعه العديد إلى الوضع المتردي الذي يعيشه و الذي يجعله يهرب من واقعه و يجابه الموت في زوارق الحرقان تارة و بالأحزمة المتفجرة حيناً آخر. غير أن ضغط الواقع و إن كان محددًا للتصرفات فهو يتطلب توجيهها من سلطة ما، تحركه نحو سلوك معين.

نعتقد من خلال متابعتنا لمضمون رسائل وسائل الإعلام و البحث في هوية صانعيه و أهدافهم أن هذه الوسائل سواء كانت عربية أو وطنية مسؤولة بشكل كبير في دفع الشباب نحو التضحية بالنفس و بالوطن لتحقيق ما يعتقدون أنه أمر إلهي. فالشباب التونسي ليس في حاجة للذهاب إلى أفغانستان اليوم ليتحول إلى مجاهد يخدم الأهداف الأمريكية في معركة لا تخصه تدور بين الروس و الأمريكان. فقد أصبحت أفغانستان وغيرها ظاهرة متنقلة عبر الفضاء تدخل على الشاب و هو في غرفة نومه و تكلمه بلغته العربية و تلبس جلباب دينه الإسلامي فتجعله يشعر بانتماء قوي إليها أكثر من

انتماءه إلى وطنه خاصة أن إعلام وطنه لم يدافع عن نفسه في معركة التنافس الإعلامي الشرسة بل فعل كل ما من شأنه تدعيم إعلام الأبطال الطائرة.

فما الذي يجعل هذه القنوات الإعلامية تتحول من وسائل إخبار تمثل الرأي العام إلى وسائل للدعاية تمثل القوى السياسية و المالية و الإيديولوجية ؟ و ما هي الآليات التي تستخدمها للتأثير و الإغراء لزج الشباب في لعبة التنافر السياسي ؟

وما هي التصورات التي تروجها اليوم وسائل الإعلام العاملة في الفضاء العربي و الناطقة باللغة العربية؟ و أخيرا ما العمل للحد من تأثيراتها السلبية و حماية المتلقي من أمراضها المروجة لثقافة الموت ؟

أولا: في إعلام الرأي الواحد أو إعلام أهل الكهف

ليس المطلوب من الإعلام، حتى غير الحزبي تحقيق الحياد. فالذي يعمل في مجال الرأي أي مجال الظني و المحتمل ، و الذي يعمل في مجال الخبر الذي يمر عبر مصفاة اللغة و الصورة و اللون و الموسيقى لا يستطيع الإدعاء بتحقيق الموضوعية. و يبقى المطلوب من الإعلام الذي يهدف إلى تمثيل الرأي العام تحقيق التوازن في الآراء. لذلك اعتمدت فضائية معروفة و ذكية شعار الرأي و الرأي الآخر و تدعي أخرى أنها تتكلم باسم الرأي العام العربي. هذا على مستوى الشعار أما على مستوى صناعة المحتوى فأغلب الفضائيات العاملة في المجال العربي تتكلم بلسان رأي واحد يمثل في الأغلب جهات سياسية رسمية و غير رسمية محددة تكرسها لخدمة مصالحها و للتنافر بين بعضها. و يتم الزج بالمتفرج في هذه الخصومات بإيهامه بأنها تشكل قضيته الخاصة. لذلك نرى اليوم في بلادنا التي لم تكن تعرف الطائفية، من يدافع على الشيعة و من يساند السنة، و من يتبنى الأطروحات الأمريكية و من يقدر حسن نصر الله و من يقف إلى جانب هنية أو السعودية و من يفجر نفسه إكراما لحركة طالبان. .. و كلها أطراف في لعبة تتجاوزنا أنشأت فضائيات تدافع عن سياستها، أي أنها توظف وسائل الإعلام كوسيط لترويج تصورات محددة و للتأثير في الرأي العام من خلال هذه التصورات فتتحول بذلك وظيفة هذه الوسائل من الإخبار إلى الدعاية، أي من التعبير عن الرأي العام إلى التعبير عن أجندة الذي يدفع أكثر و لإدارة الحروب و النزاعات بالوساطة و تعمل على خلق واقع اصطناعي من خلال تقنية البرمجة الدماغية و تفكيك و إعادة تكوين صورة الذات و صورة الآخر.

و الإعلام الدعائي قادر بأن يغرر بالمتلقي و هو حر و أن يتحكم فيه دون أن يسلم عليه عنفا جسديا.

و تكمن قوة وسائل الإعلام في كونها وسيطا لوسيط أخطر منها و هو الكلمة و الصورة و مجمل العلامات التي أنتجها الإنسان للتواصل و للمثاقفة و التي يمكن تحويل وجهتها لخدمة أهداف مناقضة تماما. و شخصيا أرى أن التلفزيون اليوم تجسيدا لكهف أفلاطون L'allégorie de la caverne فالنلفظ الذي كان ينظر إليه على أنه واسطة و ثانوي جدا أصبح سلطة. و يتمثل

أعلى في السمو السياسي و الأخلاقي و تحط بذلك طبعاً
من ثقافة الآخر.

على قناة "الجرس" برنامج عنوانه " الطريق إلى
الجنة" يقدم وصفاً بسيطة لبلوغ عالم حور العين: الموت
في سبيل الله. و يتمثل هذا السبيل في الطريق إلى القدس
أو إلى بغداد. أما التأثير و بالتالي الإقناع فيتم عبر
الكلمات البسيطة التي تعتمد الزخرفة اللغوية أساساً دون
تقديم حجة منطقية. يقول المذيع متوجهاً إلى المترشحين
للمنطق بأحزمة الموت : " لن تستطيع قوة على وجه
الأرض القضاء على الإسلام. فقد نصر الله المسلمين في
غزوة بدر بالرياح" ، يعني شوية هواء " لا يجب أن
يزعزعنا اليهود لن ننسى الأقصى مهما طال الظلم".

أما "الزوراء": قناة المقاومة العراقية فتبث صوراً
على مدار الساعة تمثل حسب إعلانها " عمليات
الشهرين الماضيين التي قام بها جيش المجاهدين ضد
الاحتلال " على وقع أصوات انفجارات متواصلة و نشيد
جماسي تقول كلماته " يا شباب الهدى زمجروا كالأسود
حرروا المسجد من الطغاة اليهود" و أيضاً " رددى يا
سهول أننا نفتدي بالرسول حدثي عن عمر كيف قاد الأمم
بالكتاب الأغر". قنوات شيعية لا تكف عن الحديث عن
صفات " الإمام الحسين" و عظمته و تضحيتها تماماً مثل
حديث المسيحيين عن المسيح. و طبعاً تكون الخلاصة
الدعوة إلى ضرورة الإقتداء به في المعارك ضد العدو.
كما تكون النتيجة أيضاً تشجيع شباب تونسي معارض لهذه
الظاهرة، حول ما إذا كانت السيدة عائشة تعتبر من أهل
البيت أم لا و أقوال أخرى مخجلة.

ما يمكن ملاحظته إذن هو التركيز على المرجعيات
الإيمانية و يبدو ذلك في ربط القضية العراقية ليس
بالقضية الفلسطينية، كأرض محتلة و شعب مهجر و
مخالفة للقانون الدولي من طرف الصهاينة ، بل بالمسجد
الأقصى و الحديث عن اليهود و الإشارة الواضحة إلى
ضرورة الحكم بالشرعية و البرهنة على الأوامر بسيرة
الرسول و أحد الخلفاء الراشدين، أي بالسلف الصالح، و
كاننا في معركة في " المدينة" من خمس عشرة قرناً بين
جيش المسلمين و اليهود. بحيث يتم تصوير عالم حرب
عادلة بين الكفر و الإيمان تنتهي بالانتصار على العدو
إذا تمت قيادتها بالقرآن .

قناة " المنار" تبث شريطاً وثائقياً حول حيوان
الأخطبوط و تقدمه كآية على معجزات الله بحيث يجعل
المعرفة مقتصرة على الدين و تقصي العقل البشري و
العلم بل و تدلل عن معجزه قولاً لأنه لم يتمكن من
اكتشاف أسرار الأخطبوط. و كأن العقل و العلم معاديان
بالضرورة للإيمان أو مزاحمان لقدرة الله. إنها طريقة
ناجعة لتجريد كل خطاب مغاير من كل مصداقية فكيف
نستطيع بعد عملية غسل الدماغ من طرف الذين يدعون
النطق باسم الأعلى حث الطلبة على التفكير المنطقي و
العلمي و الاجتهاد و النجاح ؟ و الدليل أننا نجد في
الشريط المتحرك أسفل الشاشة في قناة "الفجر" رسالة
من مواطن تقول " أرجو من المسلمين أن يعينوني على
إيجاد عمل بالدعاء" و رسالة أخرى في قناة " صلاح

سلطانه في فن تحويل المعلوم إلى مجهول و السماح
بالتفكير بالأشباح من خلال عالم لغوي خالص. أي أنه
ينتج ما يمكن أن يعبر عنه بتفكير أهل الكهف
الأفلاطوني الذي لم يكن لهم بد من الاعتقاد بأن الأشياء
المتراقصة على جدران الكهف هي الأشياء الحقيقية . و
يدير الكهف أفلاطون عصرنا هذا إعلاميو العصر
الحديث و رجال السياسة أي سفسطينيو العصر الحديث
الذين يجعلون المنفرد يؤمن بأن كل ما يراه و كل ما
يسمعه يمثل الحقيقة الحقيقية. فهم يسخرّون القول ليُجعل
" الأشياء الكبيرة تبدو صغيرة و الأشياء الصغيرة تبدو
كبيرة " على حد تعبير أفلاطون. و هو ما يجعله يعتبر
القول جباراً و يستنتج أن الطغيان لا يكون دون تزييف
للكلام لذلك كان يحارب السفسطينيين.

و قبل ظهور التلفزيون بقرون تحدث الجاحظ عن
سلطة القول التي تتحول إلى تسلط بالقول عبر القوة
البلاغية القادرة على التخلص من الخصم بالحق الباطل .

و ينقل الإعلام اليوم فعلاً خطاباً هجومياً تناقرياً يمكن
تشبيهه بصراع الديكة يجعل المتلقي يتصور بأن وجوده
مرتته بقدر ما يمكن أن يؤدي به الآخر. بحيث أصبح
الاختلاف يرمز إلى العداوة و الصدام عوض أن يمثل
إثراء و تنوعاً للبشرية. و قد أنتج هذا الإعلام المريض
جيلاً غير قادراً على قبول الآخر المختلف، يتبنى تساؤل
" فولتير" الحائر و المستهجن الذي قال فيه ما معناه "
أيعقل أن يكون الإنسان فارسياً؟ "

« Comment peut-on être Persan ? »

Donc comment peut-on ne pas être
musulman ? Comment peut-on ne pas être
islamiste ?

ثانياً: في المشاهد الكوارثية :

يكفي القيام بجولة فضائية عربية على التلفزيون
للتأكد من تكريس أغلبية القنوات لخطاب الموت المادي
و المعنوي و توجيهها للشباب أساساً . و قد قمنا فعلاً
بمتابعة هذه البرامج لمدة ثلاث ساعات فقط (من الساعة
الخامسة إلى الساعة الثامنة بعد الظهر بتوقيت تونس يوم
الأحد 11 فيفري 2007) و تمعنا في الصورة و الصوت
و الموسيقى لتتأكد من أن البرنامج المسطر للجمهور
العربي هو برنامج أو أجندة القوى السياسية السائدة
الأمريكية و الإسلامية و ليست أجندة الجمهور كما
يقتضي ذلك المفهوم الأصلي للإعلام.

تبث ما لا يقل عن قناة على اثنين محتوى دينياً
موغلاً في المثالية المبشرة بحب الموت و القيم الأخروية
و بينهما قنوات الرقص و الخلاعة أو قنوات رسمية لا
طعم لها و لا راحة متخصصة في اللغة الخشبية، أو
قنوات جامعة تبث بين المنوعة و الأخبار برامج دينية لا
تقل خطورة في محتواها عن القنوات الدينية الجحثة، إلى
جانب قنوات مموله أمريكياً و ناطقة عربياً، بعضها معلن
عن مصدرها و أخرى متخفية تحت أسماء عراقية و
خليجية بالأساس تزوج إيديولوجيا خطيرة تدعي أنه لا
يمكن مقاومة العنف إلا بالحرب و تقدم أمريكا كمثل

الدين" السنوية الإسلامية العراقية تعبر عن العيش من أجل الآخرة فقط بقولها " من كان آخر كلامه لا آله إلا الله دخل الجنة"

و تشترك بقية القنوات في نفس التوجه المنتج للطاعة العمياء سواء ببث صور الخراب و الدمار أو مسلسل تاريخي فيه صور تعذيب مربعة تشرع للعنف ضد من عذب المسلمين تاريخيا. أو حصص دينية تحكي الخوارق و المعجزات. أما الصور فهي تعبر عن عالم مثالي كما تتصوره الذاكرة الجماعية للمسلمين حول زمن السلف الصالح حيث كل النساء متحجبات و الرجال شيوخ أجلاء ملتحمين يرتدون الجلباب و يجلسون على زرابي فوق السحاب و يقدمون النصائح للصالحين و الصالحات و لهم حلول لكل المشاكل و الأمراض المزمنة بالعودة فقط إلى القرآن بحيث يتم إجبار المتفرج على الاختيار بين الطهارة و النجاسة حسب مفهومهم الخاص و حثه على الجهاد ضد عالم الجاهلية و بناء عالم الطهارة بالتضحية بالنفي و أجره على الله في الجنة مع حور العين.

ثالثا : في إنتاج العبيد.

إنه خطاب إعلامي يحرك المشاعر و العواطف أكثر مما يتطلب إعمال العقل بل أنه يطالب العقل صراحة بعدم الفاعلية. فهو يتوجه إلى الأشخاص و ليس إلى المواضيع ، لأن المواضيع تستدعي النقاش و إعمال العقل. و هي تقنية دعائية أثبتت البحوث فعاليتها تعتمد على التكرار و التبسيط و التركيز على العدو الواحد و الحل الواحد و على القيم الأكثر تأثيرا في ثقافة المجتمع. و بعد هذه المقدمات الإيمانية التي لا تناقش نظرا لقدسيتها و هذه الوسائل التأثيرية التي أثبتت البحوث فعاليتها و قدرتها على الإقناع يقدم محتوى القرآن حسب قراءة تخدم هذا التوجه السياسي : الجهاد في سبيل الله و قتل الكفار و الدخول المضمون إلى الجنة بحيث يشعر المقاوم أنه يقوم بمهمة إلهية بأمر إلهي. و هو ما يفسر أنه يمكن لأي مسلم مهما كانت جنسيته تقديم نفسه قربانا لله إذا طلب منه مقاومة الطغاة و اليهود أو كل من يتم تصويره على هذه الشاكلة بتشريكه في نفس الصفات السلبية و يصبح بذلك المواطن العادي مسلما أو مسيحيا أو يهوديا عدوا لله لأنه يدعم بصفته و جنبه الطغاة و يصبح رجل الأمن عدوا و تصبح المرأة السافرة أيضا عدوا للإسلام يمكن القضاء عليها دون خوف من حساب الله...

فهذه ليست إذن قنوات إعلامية بل قنوات دعائية انتماءها السياسي واضح و أهدافها واضحة. و هي موجهة أساسا إلى الشباب لأنه يسهل التأثير فيه نظرا لطغيان المثالية في هذه السن على الواقعية. فالشباب له قابلية أكثر من غيره للتضحية بالنفس من أجل تحقيق هدف يعتقد أنه نبيل و سام و ذلك عكس الكهل الذي يتحمل مسؤولية بيت و مجتمع و لديه مكاسب يريد الحفاظ عليها. ثم أنه شاهد أكاذيب قبل هذه il en a vu d'autres

أنتج لنا إذن الخطاب الإعلامي لهذه الأطراف السياسية التي لم تتضح لنا بعد بالنسبة للعديد منها أهدافها الحقيقية و مموليها الحقيقيين شبابا غير قادر على زحزحة الزمن أو على دفع سقف الحقيقة إلى الأعلى. أنتج شبابا مولع بأدبيات تحديد مساحة فعل العقل و الترهيب يستهلك أطنانا من كتيب " عذاب القبر" و يرى في مفكرين و مصلحين من أمثال ابن رشد و خير الدين و الطهطاوي زنادقة و ملحدين. شباب يتأرجح بين أزواج مفاهيم متناقضة حد التقاتل : بين الماضي و الحاضر أي بين السكون و الديناميكية فكريا و بين الاستبداد و الديمقراطية سياسيا. و ينتهي به الأمر باختيار التوجه الأول كلما سمحت له الظروف بالتعبير عن رأيه بشفافية عبر صناديق الاقتراع أو بحمل السلاح.

أنتج لنا هذا الإعلام شبابا يعتبر أنه لا يمكن قبول فكرة حقوق الإنسان الحديثة و البقاء مسلما لأن مصدر حقوق الإنسان تنحصر في رأيه في الشريعة. و هي كلها خصلات ليست في الحقيقة بعزيزة على شعوب تمتاز في مجال المعرفة بالذات بفضيلة السكون و البساطة أو رذيلتها و بالطاعة العمياء التي يمكن تلخيص مرتكزاتها في هذا الحوار الدائر بين شخصين من روية للكاتب اليوناني " نيكوس كازنزاكي" (الإخوة الأعداء ص 943).

يعاتب في هذا الحوار " لوكاس" الماركسي رفيقه الذي بدأ يشك في الثوابت فيقول له : " إنك دخلت الحزب بقلب تملؤه الثعابين، فالمناضل الحقيقي لا يطرح السؤال و يكتفي بالصراع (...). إن التساؤل و النقاش و القرار يعود إلى القادة. أما نحن فمهمتنا تلقي الأوامر و تنفيذها" و يضيف : " سئل مرة شيوعي روسي : هل قرأت "ماركس"؟ فأجاب : لا لا داعي فقد قرأه "لينين" ". و يرد رفيقه القائد " داركوس" : " ما أعرفه أنا هو أن الطاعة العمياء تنتج العبيد".

يعيش المتفرج العربي إذن على وقع مشهد ملخص في ثلاث خيارات: الخلاعة أو حوار الطرشان أو الشهادة و الآخرة. أي الدنيا بتطرف و الآخرة بتطرف و كلاهما مؤدي إلى إلغاء العقل. هذا هو النظام السائد إعلاميا الذي نلمس يوميا نتائجه المتمثلة في الموت المادي و المعنوي.

و يجب علينا الاعتراف أن ما نشاهده يعكس واقعنا العبيثي و المر تماما و بأمانة. إنها حرب شعواء بين الدعاية الأمريكية المبشرة بتحرير العالم من ثقافة الدمار المتسببة حسب ادعاءاتها في الخراب الذي تعيشه منطقة الشرق الأوسط و الدعاية المضادة لخصومها الناطقة باسم الله و السلف الصالح و الدعاية إلى مقاومة الطاغوت بالكف العاري و الحجارة و التضحية بالنفس و المبشرة بتحرير العالم من الصليبيين و اليهود و المسلمين المرتدين شعوبا و حكاما الذين تخلوا عن الحكم باسم الله و المتسببة أيضا حسب ادعاءها في تقهقر المسلمين. و بين هذه و تلك تتربع دعاية الأنظمة الحاكمة الفاقدة لكل مصداقية بسبب خطها المهان تماما و

التعويل في تطبيقها على الكفاءات الإعلامية الوطنية. و
شكرا.

السيد إسماعيل بولحية:

أريد أن أحبي الأخوان و خصوصا منهم الطلبة الذين
التحقوا بنا منذ قليل و أحب أن أشكرهم و ليتفضل الإخوة
للتدخل في باب النقاش العام.

أريد أن ألاحظ حول مشاهد الدعارة في الإعلام حيث
أن الشارع التونسي منقسم حول هذه المسألة إلى شقين.
فأغلبية الشباب الذي يجاهد و يعمل و يساهم في بناء
الذات يرفض ذلك . كذلك في نطاق عملنا في الحركة
للتحسيس و إحياء روح المغرب العربي أقترح إيجاد
فرص لقاء بين شباب بلدان المغرب العربي للتعرف. إذ
في جيلنا كنا في ظل الاستعمار و كانت لنا فرص للتلاقي
في الخارج بينما أصبح ذلك بعيدا و ابتعدت الأحلام
المشتركة و البرامج المشتركة... و شكرا

الدكتور محمد موعدة : نحن بين مشروعين

أصوليين

أشكر الإخوة الذين نظموا هذه الندوة الخطيرة و
الهامة جدا و الإخوة الذين شاركوا في هذه الندوة من
خلال مداخلاتهم.

أولا أريد أن أشير إلى ملاحظة أساسية و هي أن هذه
الندوة منظمة من قبل حزب سياسي و ليس في مركز
أبحاث الذي له خصوصيته، و تبقى أبحاثا لكن عندما
ينظمها حزب سياسي فإن المقترحات الصادرة عنها تأخذ
طابعا عمليا.

الملاحظة الثانية، المقترحات التي عرضت تتميز
بالعمق و الجودة و لا أحد منا يعتقد أننا سننهى الموضوع
بهذه الندوة، فقيمتها فيما يأتي من بعدها من ناحية تجسيم
الحركة لهذه المقترحات و برامج عمل بين مناضليها لسد
الفراغ في هذا الجانب.

طيلة العام السابق، أفردت عدة ندوات حول اتحاد
المغرب العربي و كانت الاستنتاجات تؤكد كلها أن فكرة
المغرب العربي أفرغت و فشل مشروع الوحدة مع
الأسف. يبقى طموح شعبي و نحن في الحركة جعلنا ذلك
في ميثاقنا فمشروع المغرب العربي مازال طريقا طويلا
و شاقا. و أشار أحد الإخوة حول التسميات لقد قمنا في
السابق بدراسة التسميات. فالمغرب العربي بجانب
الجغرافي والحضاري، والمغرب الكبير بجانبه الكمي،
والمغرب العربي الكبير الجانب الكمي و الجغرافي و
الحضاري. أما المغرب الإسلامي فهو تصور جديد
أطلقته القاعدة، وهي تطور داخل الحركة الإسلامية .
هناك مغرب أمريكي و مغرب أوروبي و الآن هناك
مغربان يتصارعان و هما المغرب الأمريكي و آخر
مغرب إسلامي. و بكامل الصراحة نحن نعيش في
صراع بين مشروعين أصوليين و هما مشروع بوش

تخصصها في التعظيم على الأحداث و الحقائق و في
التضليل الإعلامي. إنه مشهد معبر عن الواقع : قوة
الإيمان، و هو سلاح الفقراء مقابل ترسانة أعظم قوة في
عالمنا اليوم و أيضا ضد المؤسسة السياسية المحلية
المستحوذة وسائل العنف الشرعي التي تستخدمه في قهر
المواطن عوض استعماله كرادع ضد من يلجأ للقوة
لسلب المواطن حرياته و حقوقه. يستمد النظام الإعلامي
إذن قوة تأثيره من الحقائق المعاشة على الأرض و التي
يقوم بتوظيفها سياسيا خدمة لمصالحه و تحقيقا لأهدافه. و
يصعب أو يستحيل بالتالي تغيير هذه الحقائق .

و أخيرا : ما العمل ؟

يرى البعض أن النظام العالمي الجديد هو نظام معلوم
و هو بالتالي في حاجة ملحة إلى ميثاق إعلامي أخلاقي
جديد يستند إلى حد أدنى من القيم المشتركة و يعتقدون
أن ذلك كاف لإعادة الإعلام إلى دوره الأصلي كمنشط
للفضاء العام. غير أن هذا المقترح يظل مثاليا لأن الداء
ليس طارئا بل هو من طبيعة الأشياء لأنه مرتبط بمصالح
القوى المالية و السياسية. فالسلطة سياسية كانت أو مالية
أم عقائدية تعتمد في نشاطها على ثلاثية العنف و الخديعة
و الاتصال لكي تكون قادرة على ممارسة السيطرة حتى
أنه تم تشبيه وظيفة الاتصال صلب النشاط السياسي
بالدورة الدموية في تغذيتها.

لذلك نرى أن الحل الأقرب للواقعية يتمثل في
تحصين المتلقي من داخله و ذلك من خلال إدراج التربية
على وسائل الإعلام ضمن برامج التعليم و هي مادة
تسمح للتلميذ باكتشاف الخدع و الحيل و التعرف على
آليات الخطاب الإغرائي و التمكن من مفهوم الدعاية مما
يمنحه حصانة ضد الإعلام المزيف و يجعله متسلحا ضد
عمليات غسل الدماغ و فخاخ وسائل فرض الرأي.

غير أن هذا لن يكفي إذا لم يتم تدعيمه بإعلام بديل
يجعل التلميذ يفهم باللموس و ليس بالنظريات فقط
الفرق بين الإعلام و الدعاية. و علينا أن نعترف بأن
إعلامنا الوطني لا يقوم بهذه المهمة بل أنه غالبا ما
يكرس مفهوم الإعلام السائد على الفضائيات من خلال
بثه لمسلسلات تروج لقيم غريبة عن الثقافة التونسية ،
قيم الإنسان العاجز المشلول الإرادة و قيم عدم المساواة
بين الجنسين و بين الأديان و قيم عقدة التفوق الحضاري
و قيم الخرافات... بخلاصة هي قيم الجبرية و القدرية
التي تنفي مسؤولية الإنسان و حريته.

يجب على أصحاب صنع القرار الاقتناع بأن الإعلام
لا يقل شأنًا عن التعليم و أنه يستحق أن تخصص له
ميزانية هامة تسمح لنا بتجذير قيمنا التي تتماشى مع
مشروعنا الاجتماعي الذي اخترناه منذ خمسين سنة
عوض تدميره بماننا من خلال اقتناء مسلسلات و أفلام لا
تمت لواقعنا بصلة (نشروا في الهم بالفوس) كما ينبغي
الإقدام على إصلاح جذري في معهد الصحافة و علوم
الإخبار على مستوى مناهج التعليم و محتوى الدروس
بهدف وضع حد لتحريف العملية الإعلامية من أساسها .
وقيل هذا و ذاك يجب وضع إستراتيجية إعلامية فعالة و

وبين لادن و العقلانية في تراجع مع الأسف و هذا يحملنا مسؤولية و يدفعنا للقيام بدورنا الحضاري.

كذلك ، لي بعض التصورات إذ أن شباب العنف في المجال السياسي بتونس و غيرها : هناك عنف عام مثل العنف في المدارس و هناك عنف مجتمعي و هو عنف لفظي غريب أسمعه في وسائل النقل العام حتى بين الفتيات. و هناك جانب آخر هو العنف السياسي، و هو ليس خاصا بنا بل هو موجود في مجالنا الحضاري و السبب الداخلي هو الفراغ . هناك خبراء يؤكدون ذلك، و الفراغ يجعل العقل متلفيا لأي شيء . فعندما تؤكد فتاة أن جسمها عوراء بعد نصف قرن من إصدار مجلة الأحوال الشخصية هذا يدعو للاستغراب. كذلك عندما يكون بعض من شبابنا يحمل شهادات جامعية عليا يحملون فكرا سلفيا متطرفا هذا يدعونا للتفكير.

و كما قالت الأخت سلوى، هذه الفضائيات الجديدة فيها التكفيرية و منها التشيعية التي تدعو إلى التكفير الآخر و تذكرنا بما حدث في بلادنا في العهد الفاطمي عندما يخاطب الأمة الشيعة على منبر جامع القيروان و يقولون اللهم أشهد بكفر أبو بكر و عمر و عثمان ... أمام هذا الوضع فإن الفراغ في فكر الشباب يجعله عرضة لتلقي مثل هذه الأفكار.

الجانب الثاني، الأنترنات فيها خطورة التعامل الشخصي المنفرد معها و القدرة على الإبحار فيها كما يشاء الشباب بعيدا عن كل القيود. مع ما يلاحظه الشباب في الوضع الدولي من عجز و غبن أمام الهجمة الأمريكية على عالمنا العربي الإسلامي في زمن بوش، و العجز يولد العنف . و نتذكرون في العراق أن بعض القيادات الأمريكية عبرت عن استياءها من تطرف العراقيين . ففضية العنف تتجاوزنا و تتجاوز المغرب العربي لتشمل مجالنا الحضاري العربي الإسلامي الذي هو أمام قوى كبرى فتاكة و جبارة فيلتجأ شبابنا إلى هذا الأسلوب.

إضافة إلى ذلك ما ذكره أحد المفكرين عن بروز الثقافة الإرهابية مثل الاشتراكية و الشيوعية و هي نظرية و قمت بإصدار مقال في ذلك .. فما العمل ؟ فأمام حزب سياسي مناضل ينشئ بهويته العربية الإسلامية فالجواب لا يمكن لحزب أن يقوم به إلا إذا كان حرا... فما معنى ذلك إذا كان كل من يدخل أحد مقراتنا يصبح مشبوها . و سمعت اليوم أن سيادة الرئيس قال في اللجنة المركزية للحزب بأن الحزب القوي يكون بوجود معارضة قوية. هذا ما قلناه في السابق و الحزب الضعيف أيضا يخشى من معارضة قوية فإبقاء أحزابنا ضعيفة يفسح المجال لأطراف أخرى لأخذ مكاننا طبعاً. فشمولية العلاج يكون بثقافة جديدة. و أمام مشروع المغرب الإسلامي للقاعدة تكون المواجهة بثقافة و مشروع مغرب عربي إسلامي شامل تنشط فيه أطراف المجتمع المدني و كل الأطراف مسؤولة عنه على ساحتنا الوطنية و تحرم من ذلك بقية الأطراف الوطنية و شكرا على حسن الاستماع.

الطيب بو ملالة: العنف في المدارس ظاهرة

مفزة

لي بعض الملاحظات موجهة للأستاذ منصف وناس، و أخرى للأخت سلوى التي سردت القنوات العربية التي لها إعلام موجه. كذلك فإني أقول أن بعض القنوات العربية تقوم بنفس الممارسة و هي تأطير إعلام موجه. كذلك فإن واقع إعلامنا الرسمي قادر على استقطاب شبابنا ...

تحدثتم أيضا عن العنف المدرسي وهو ليس من إنتاج المدرسة. فمن خلال تجربتي أن بعض القيمين عندما يفتشون بعض التلاميذ يجدونهم حاملين لسكاكين أو شفرة حلاقة. فإذا الأستاذ تولى مهمة الردع فإنه يخشى التعرض في الشارع إلى العنف من قبل تلاميذه. وإذا قامت الإدارة بالردع فإن الولي يقف مع ابنه ضد الإدارة. و لذلك فعلى الأولياء و الإدارة و المدرسين التنسيق و العمل معا للحد أقصى ما يمكن من العنف في المعاهد. فما قرانه من إحصائيات رسمية حول عدد المدرسين الذين تم تعنيفهم أو كذلك من الإداريين فهو أمر مفزع.

كذلك أشاطر الأخت سلوى فيما قالته بحكم عملها كجامعية في معهد الصحافة تجد بعض طلبتها يتحاشون المواضيع السخنة لخوفهم فهم على حق لأنهم إذا قاموا بذلك العمل سيجدون كل الأبواب موصدة في وجوههم و شكرا...

منير ذويب : ليست لدينا ظاهرة عنف أو إفراط

في التدين

تابعنا هذه الندوة التي تمحورت حول الشباب و العنف و لو أنني علمت أن عنوان الندوة كان الشباب و الإرهاب لكن فوجئت بتغيير ذلك على الشباب و العنف. فما جد من أحداث في الضاحية الجنوبية أخيرا و ما لاحظته من مداخلة الأخ الأمين العام اليوم فهي لا تختلف كثيرا عما قاله الأمين العام للتجمع أخيرا بينما كان موقفنا في بلاغ المكتب السياسي الأخير أكثر جرأة ووضوحا. و ما حدث من أعمال فلقد بقي غامضا . فما قيل و ما حدث بعد ذلك قد زاد المسألة غموضا، فإذا اتبعنا عدد الذين أحيلوا إلى المحاكمة أخيرا فهو أكبر مما تم التصريح به في الأول أثناء الأحداث. فقبل الحديث عن العنف و الشباب و جب علينا في الأول معرفة ماذا حدث حقيقة في تونس في الأيام الفارطة. و بماذا أدين هؤلاء الشباب ؟

أريد كذلك أن أتوه بالنظام الذي لم يحدث محتشدات مثل "غوانتنامو" بعد الذي حدث، لكن لا يمنعنا من ذلك التحذير من الرجوع إلى أساليب التعذيب و القمع ضد المتهمين و نحن نقول ذلك بصراحة.

سمعت كلمة انتشار العنف، لا يجب علينا أن نضخم المسألة للحديث عن انتشارها. فمجتمعا مثل غيره من المجتمعات ليس ملائكما مهما كان رقيته و ليس لنا ظاهرة العنف و ليس لنا ظاهرة الإفراط في التدين فما معناها

حقيقة؟ كذلك لا يمكن تفسير انخراط بعض الشباب في

الجهاد لأسباب اقتصادية واجتماعية. فمثلا قادة القاعدة من الأثرياء كابن لادن و من النخبة كالطواهي. كذلك لا أوافق الأخ منصف وناس الذي قيم حصيلة دول الاستقلال بالفشل، فهذا نكران لحصيلة عمل هذه الدول . كذلك لا أوافق الأخ سامي إبراهيم بأن الايدولوجيا تبدأ عادة من الأوساط المرفهة ثم يأتي دور التجبيش . و الإشكال المطروح هو كيف نسيطر على ذلك قبل أن يحدث التجبيش ؟ . و التحدي يكون في كيفية تطوير معارفنا الدينية و لا أحد ينكر لنا هويتنا الإسلامية، لكن معارفنا الإسلامية ضعيفة ونحن مغيبون عنها فضروري إعطاء هذا البعد أهمية و وضعه على طاولة الحوار في تونس و نربي أبناءنا منذ الصغر على مقاومة العنف الديني. و شكرا.

علية العلاني: لم يحترم حق الاختلاف في

تاريخنا

أرجع إلى محاضرة الأخ سامي إبراهيم حول مسألة حق الاختلاف في تراثنا الإسلامي. هناك تحليل لبعض الباحثين يؤكد بأن حق الاختلاف مضمون بين الفرق الإسلامية. وفي تاريخنا نجد أن هذا الحق و طيلة فترات طويلة لم يقع احترامه بينما نجد أن المبدأ الذي قامت عليه الأنظمة الإسلامية منذ الخلافة الراشدة يقر بحق الاختلاف و توجد آية في القرآن تؤكد حق الاختلاف بين البشر : " و لا يزالون مختلفين إلا من رحمة ربك..و لذلك خلقهم"(سورة هود). هذه " القاعدة" لم تحترم و كل فرقة تدعي أنها تملك الحقيقة و الملاحظ أنّ حق الاختلاف برز و كرّس بصفة جلية مع فلاسفة التنوير في الغرب.

أما بخصوص مسألة التركيز الدولي و الأمريكي على تنظيم القاعدة الجديد في بلدان المغرب العربي فيجب أن نقرأه قراءة نقدية و معمقة. و أورد على سبيل المثال فقرة من حوار أجراه الباحث المغربي محمد ضريف مع أحد المجلات مؤخرا حول تنظيم القاعدة الجديد فيقول: " أن تنظيم القاعدة الذي أعلن عنه في بلاد المغرب لا يمكن أن يكون قويا فهو هامشي فالتضخيم يخدم رغبات الأمريكان لسبيين، أو لهما أن الأمريكيين يريدون الاقتراب من أبار النفط العربية و ثانيهما الحد من زحف الصين في إفريقيا.

محمد رجا لبيتيم : العنف ظاهرة عالمية

استمعنا بانتباه للمحاضرات القيمة و أريد الرجوع إلى أسباب ظهور العنف. هناك من قال أن ذلك يرجع إلى بروز الفكر السلفي، بينما الأمر يتعلق بالوعاء الذي يتبنى هذا العنف الذي له أسباب أعمق من ذلك تبرز خصوصية العنف.

1- تعدد مظاهر العنف و أسبابه

2- الامتداد المجالي للعنف فهي ظاهرة عالمية و الأخت سلوى ذكرت منظمة الأولوية الحمراء في ألمانيا سابقا.

هي ظاهرة ليست خاصة بنا. فالصاق هذه الظاهرة بنا هو منزلق يريد أن يفرضه الفكر الغربي. و السبب الحقيقي للعنف السلفي هو ناتج عن إحباط سياسي في منطقتنا من خلال أحداث تركت آثارها لدى الرأي العام منها نكبة 1948 و ما انجر عنها و النكسة في 1967 التي انجر عنها العنف و كذلك الانحلال فالإحباط ينجر عنه العنف و الانحلال. كذلك ما حدث بعد سقوط بغداد و كابول ، و ما حدث من إعدام الرئيس صدام المهين. و هذا الكبت يتولد عنه حتما التطرف و العنف و لا بدّ من امتصاص هذه الظاهرة و يكون ذلك بتدريس كيفية تقبل هذه الظواهر عقلانيا و نتجنّب تضخيم ذاتنا لنكتشف بعد ذلك ضعفنا المهين. كذلك فرغم أن العرب يملكون أموالا طائلة خصوصا في الخليج أين هي ؟ هل وظفت في التنمية البشرية ؟ لا أظن ذلك ...

نبيل لبيتيم يجب إصلاح التعليم والإعلام

عبد اللطيف البعيلي : أين قاعدة الوقاية خير

من العلاج ؟

نحن لم نطبق قاعدة الوقاية خير من العلاج للحد من تفاقم ظاهرة العنف لدى شبابنا. وأرى أن المسؤول عن ذلك هي اختيارات الأنظمة القائمة و النخب التي لم يقوموا بواجبها، والمؤسسات الشبابية. فالأنظمة نتيجة عدم قبولها بالتداول السلمي على الحكم و هو سبب رئيسي لغيب الديمقراطية. فنحن في تونس لنا أرضية يمكن أن لا تساهم في بروز العنف الديني لأن مصالح تونس مرتبطة بالسياحة و الانفتاح على الخارج و من يقوم بعمل مسلح يهدد أرزاق كل العائلات.

كذلك إخفاق البرامج التربوية و الثقافية إذ أننا إلى الآن مازلنا نجرب و شاركننا أخيرا في الاستشارة الوطنية حول التكوين المهني في نزل فخم ، التقينا بعض الساعات و غادرنا النزل ، فلا يمكن أن تكون تلك استشارة التي قمنا بها و التي من الواجب أن تجمع أكثر ما يمكن من الآراء و أن تكون فيها مساهمات مكتوبة من أحزابنا و منظماتنا و أن تطول أكثر ما يمكن من الوقت. بالنسبة لجذور العنف، نحن نعلم بأن العنف يولد العنف. فالتعامل بالأسلوب الأمني مع القضايا السياسية و تعقيب المؤسسات و الأحزاب عن ذلك هو من بين الأسباب. و كذلك الفشل الدراسي و الشعور بالإهانة بسبب مناخ دولي ذو قطبية واحدة. وكذلك ما تساهم به الأنترنات و الفضائيات من إبراز مظاهر الحيف و الظلم. كل هذا له دوره. و نتساءل بعد ذلك ما هو المطلوب ؟

كيف نحثوي تلك الطاقة الكامنة لدى الشباب ؟

يكون ذلك بالانفتاح السياسي و الديمقراطية و تصريف تلك الطاقة بطرق ايجابية مع مزيد من دعم الفكر الإصلاحية و المصارحة أمام المسؤولين ؟. كذلك على المستوى العربي ، من الضروري أن تكون لنا إستراتيجية و دور إقليمي كعرب ، و أشارك الأخ منير لتوجيه رسالة إلى الرؤساء العرب في القمة القادمة من أجل تجاوز الخلافات و السعي لتوحيد كلمتنا . و السلام.

نخبة مثقفة تتميز بقدرة على التفريق بين ما هو سلمي و ما هو ايجابي إذا العنف مهما كان مأتاه لا يولد إلا العنف إذ برز قطب دولي يعمل على فض النزاعات و يعمل على الوصول إلى مصالحة باستعمال القوة و العنف . في هذه الحالة فإن الضعيف لا يجد وسيلة للدفاع إلا باستعمال العنف. و شكرا.

• بلقاسم المحسني:

تكون السلطة مسئولة أحيانا على خلق مناخ للعنف. الانتخابات مثلا لا تمر إلا و يتخللها حالات عنف مادية إذ يقع تجنيد مجموعة من الشبان يوم الانتخابات لاستعمالهم في إرعاب الناس، ويقع اللجوء إلى تقديم امتيازات لآخرين. العنف دخل أيضا المجال الاقتصادي عندما يقع خرق القانون ولا يتوفر الردع المطلوب. و شكرا.

• المولدي البالغ : وسائل الإعلام حقنا جميعا

بسم الله الرحمان الرحيم. نتطرق هذه المدة إلى ظاهرة العنف و كيفية معالجتها. وسائل الإعلام تشير إلى خطاب رئيس الدولة و تقول في خطاب الرئيس في مناظلي التجمع الدستوري الديمقراطي و أن رئيس الدولة هو المؤمن على تونس و كان من الأولى أن يفتح الإعلام أبوابه أمام الجميع في الإذاعة و التلفزة و فتح مجال كبير للنقاش و تدارس الموضوع المطروح دون حشر التجمع في ذلك.

هذا الأمر يهم كل التونسيين ، بعض الأحزاب التي يتعالى عليها هي في الواقع التي تطرح المشاكل الصحيحة و تعمل على إيجاد الحلول المناسبة سواء اقتصاديا أو اجتماعيا... لم نر ذلك في الحزب الحاكم رغم استغلاله لوسائل الإعلام . المنصف بن محمود المدير العام للإذاعة و التلفزة في إجابة على سؤال ضمن حوار صحافي أجاب و أن الإذاعة جعلت لإبلاغ كلمة الحزب الحاكم و لا دخل لأي آخر في ذلك. فالمؤسسة الإعلامية هي ملك الجميع بدليل أن فاتورة استهلاك الكهرباء و الغاز تضم معلوما للإذاعة و التلفزة رغم أن أصوات العديدين لا تصل إلى الغير و هي حكر على التجمعيين.

فالبلدان العربية من المحيط إلى الخليج تميزت بفشل سياستها الاقتصادية و كانت نكبة مازلنا نعاني منها إلى الآن و بذلك ظهر العنف في غياب نجاح الإيديولوجيات المتنوعة خاصة الماركسية منها. من جملة الحلول لمعالجة ظاهرة العنف الصحافة خاصة . الإرهاب هو حرمان المواطن من تبليغ صوته عبر الجريدة التي تصدر في أحيان كثيرة نتساءل دائما لماذا أمريكا تمارس الإرهاب ؟ ألا نمارسه نحن أيضا فيما بيننا ؟ و السلام عليكم.

• معز: هناك مشكلة مصطلحات

عنوان الندوة هو الشباب و العنف ، ففهم من ذلك أن الذين وضعوا هذا العنوان هم ليسوا من الشباب فهؤلاء مثلا يمارسون بهذا الأسلوب نوعا من العنف كذلك الشعار الذي رفع في التسعينات و الذي تردد كثيرا في الخطاب الرسمي و هو يتعلق بشباب المستقبل و مستقبل الشباب من ناحية الإعداد. لكن للأسف الشديد أننا فشلنا

يقول " انشتاين " on comprend tout mais « rien ne va »

لكن لا شيء يسير على أحسن ما يرام. يجب أن نفهم ماذا يسير في الواقع و ماذا يجب علينا أن نقوم به. الشاب التونسي يجب أن يقول في نفسه: إلى أي مدى يمكن أن نصل ؟ هناك غياب للهدف. ينقصنا أيضا في منظومتنا التعليمية الاعتماد المباشر على الأهداف. قديما كنا نركز على الذكاء الذي ينعف البعض في الرياضيات ، تنوع وسائل الاتصال التي تمكن الشاب من التمييز بين الجيد و الرديء. يجب الاعتماد أساسا على أسس التمييز الفعلي و يجب العمل على إصلاح الإعلام كما يجب التركيز على المطالعة التي تنير له السبيل و تجعله يميز بين مختلف الإيديولوجيات الماركسية منها و الإسلامية إلى آخره.

هناك عديد الظواهر الإيديولوجية لكن على الطالب أن يكون له القدرة على التمييز . أقترح أن تقوم جميع المؤسسات بواجبها، كحزب سياسي يجب أن نطرح حولا بديلة كذلك الجامعات و الإعلام ، ثانيا يجب أن نخلق أهدافا للشباب الجامعي الذي يكون عادة متمكنا في مجال معين لكنه على مستوى التواصل فإنه يتميز بالسذاجة...و شكرا.

• محمد الهادي بن حسين : العنف فيلا تزايد

من جملة ما نعتقه في تربيتنا للأطفال هو تعويدهم على التعبير على الرأي بكل أريحية و صدق. مثلا مكتوب قام بتحريره أحد التلاميذ لإشعار السلط المختصة بمحتواه و من جملة ما فيه : إن بعض الشباب المنحرف ينتصبون صباحا مساء أمام المعاهد و يقومون بالإساءة إلى التلاميذ بجميع الوسائل إلى درجة العنف و السرقة و الإتيان بأشياء منافية للأخلاق . رفعنا هذا الأمر إلى إدارة المدرسة فأعلمتنا و أنه ليس من اختصاص المدرسة معالجة هذا الأمر بل يرجع ذلك إلى السلط الأمنية التي توجهنا إليها كذلك لكنها تنصلت من المسؤولية .

العنف يزداد يوما بعد يوم هذه وضعية أردت أن أسوقها أمام الحضور الكريم.

• عبد الكريم الخلوي : الكبت السياسي هو

السبب

في البداية لا بد من التمييز بين العنف السياسي و العنف اللاسياسي-إن صحّ القول-ما فهمته من مداخلات من حركتنا التي أخذت قرار انعقاد هذه الندوة أن الأمر يتعلق بالعنف السياسي أساسا. هذا العنف الذي نعاني منه في كل مكان : في الشوارع ، في المؤسسات التربوية، يرجع سببه ذلك أساسا إلى فشل التعبير بأساليب السياسة و عن طريق صندوق الاقتراع و عن طريق التداول السلمي للسلطة ، فكل هذا يولد ظاهرة العنف السياسي .

أما الأمر الثاني فهو يتعلق بالمنظومة التربوية التي تغيرت على الأقل 3 مرات منذ الاستقلال. فالجيل الذي تنتجه المؤسسة حاليا هو خاوي من التكوين الصحيح و بالتالي لم يحالف النجاح المنظومة التربوية في خلق

استعمال التقنيات الحديثة من أنترنات إلى غير ذلك عوض الطباشير و كل ماله علاقة بالوسائل التقليدية. انظروا إلى شبابنا و مدى نجاحه و تفوقه كلما خرج للعمل أو للدراسة خارج الوطن. فالواقع المرير الذي نعيشه في الدول العربية يجعل العنف مسلط علينا من الجهتين سواء من طرف الدول العربية أو من طرف القوى العظمى و لذلك لا يفكر الشباب إلا في ممارسة العنف للتعبير عن رفضه لمظاهر التسلط في الداخل و الخارج و هذا أمر طبيعي . و شكرا.

سامي ابراهيم : ثقافة العنف غريبة عن الساحة التونسية

أجد نفسي سعيدا بحضور في هذا اللقاء، إذ أحاضر لأول مرة في حزب سياسي. و لقد انخرطت في هذا الاتجاه لأن الشأن التونسي لا بد أن ينخرط فيه الباحث الشاب مثلي الذي تنقصه التجربة. قبل مجيئي طلب مني أحد الأصدقاء لزوم الحذر قائلا لي بأنني لست ذاهبا إلى نزل بل إلى حركة الديمقراطيين الاشتراكيين. المهم أنني جننت و تأكدت من وجود قاعدة حزبية ناجحة و مسؤولة و واعية. لقد تأكدت كذلك من أن التونسي مهموم بقضاياها سواء كان معارضا يميني أو يساري أو وسطي و كذلك بالنسبة لبعض التجمعيين.

ثقافتنا لا يمكن أن تنتج العنف و دليلي على هذا حتى لا يكون كلامي فيه عاطفة، أن الأزمات و المواجهات التي صارت بين الأحزاب التونسية و الدولة لم تنتج عنفا سياسيا . فالمواجهة مثلا بين اليسار و النظام التونسي قادت إلى جملة من المراجعات و أفرزت مناقضين يساريين في المجال حقوقي. كذلك أزمة الحريات التي عاشتها تونس في السبعينات أفرزت حركة الديمقراطيين الاشتراكيين أي صار انشقاق على يسار الحزب الحاكم لا على يمينه. كذلك أزمة المواجهة التي تمت بين التيار الإسلامي و السلطة في الثمانينات أفرزت اليسار الإسلامي و تجربة التقدميين الإسلاميين. في الفترة الحالية أفرز مجموعة من المفكرين يكتبون و يقومون بمواجهات كثيرة و هذه نقطة ايجابية بالنسبة لتونس. ثقافة العنف هي ثقافة دخيلة و مستوردة لا تنتجها هيكل تونسية و لا منظومة ثقافية تونسية، و دليلي في ذلك أن المؤسسة الزيتونية نفسها و إثر عداء قديم من طرف السلطة لا تزال مهمشة منذ ربع قرن إذ لم تطبع كتب الطاهر بن عاشور من جديد و مما يقوله الطاهر بن عاشور " و للمسلم أن يكون سنيا أشعريا أو سلفيا أو معتزليا أو شيعيا أو زيدا أو اباضيا و الجدل و النقاش يبرز مقدار الصواب في كل مذهب ". هذه قيمة الإسلام التقليدي الذي نحن مطالبون بأن نبدأ من حيث انتهى و نراجع ما قيل و ننتج الجديد.

أتساءل هل درست قواعد حركة الديمقراطيين الاشتراكيين رسالة الدكتوراه التي قام بها الأستاذ موعدة الذي ذكر فيها أن كتاب طه حسين هو أفضل كتاب نقدي

في إعداد الشباب حاضرا في تحديد عنوان هذه الندوة. هذه الظاهرة تهم الشباب الإسلامي ككل و لا يمكن أن نحصره في جهة معينة خاصة أن بعض التدخلات حصرت ظاهرة العنف في بعد إقليمي و لم تعطها البعد الكوني نظرا لوجود بعض الحركات الإرهابية غير العربية و غير الدينية.

المشكلة التي نعانيتها هي مشكلة مصطلحات لا بد من مراجعة المعاجم العربية اللغوية حتى تصبح أكثر سلاسة و أكثر ديمقراطية لنحسن التعامل مع هذه المفردات و لا تبقى في شكلها و مضامينها المتخشبة و بعدها المتحفي ، لغتنا متحفية و كل ما هو متحفي لا يمكن أن ينتهي إلا إلى العنف.

ورد أخيرا في جريدة الشعب مقال جاء فيه ما يلي: في داخلها شيء يفكر و ما زال رغم التخويف، أنت مازلت قادرا على العطاء و على الإبداع و على البيان... الشمس زالت لكنها مازالت تطل علينا فوق قطعة حلويات... لثمن سجنائك لثمنك عن النباح عن التعويل و عن الصباح كنت أنت قرص الشمس دائما... و شكرا.

مكرم القرقي : علينا تحصين الشباب

تطرفت الأستاذة الشرفي إلى مسألة إيقاف الطلبة الأربعة إذ كان بإمكانها العمل على إقناعهم بالتخلي عن ممارسة كل ما له علاقة بالتخريب ، ثانيا لقد وقع ربط الإرهاب بالدين و ذلك لغايات سياسية تمكن القوى العظمى من دخول بعض البلدان بحجة ملاحقة الإرهابيين للاستحواذ على خبرات هذه البلدان. قناة الزوراء التلفزيونية مثلا أو الأنترنات تؤثر تأثيرا مباشرا على الشباب و لذلك علينا جميعا العمل على تحصينهم انطلاقا من الأسرة إلى المدارس إلى المجتمع المدني... و شكرا.

سلوى الشرفي : التحصين الداخلي أولا

الحل يكمن أساسا في التحصين الداخلي و ما عدا ذلك فلن يعمل إلا على تطوير الأمور إلى الأسوأ. فأنا بطبيعتي ضد الإيقافات و ضد المحاكمات... أنا لي مثلا كتابان وقعت مصادرتها أحدهما وقع السماح له بالنشر بعد تهديدي بالإضراب. أما الثاني فما زال إلى الآن مصادرا منذ 7 سنوات إلى اليوم. الرقابة إذن لا تؤدي إلى أي شيء بالنسبة إلى المنظومة التربوية و ما يقال من إصلاح التعليم و تحفيف المناهج، هل وقع تحفيف المناهج؟ في السعودية و في مصر أو في الجزائر لم يقع تحفيف المناهج رغم كثرة مظاهر العنف عندهم.

إصلاح التعليم الذي يقع في تونس هو مطلب جماهيري، نحن نلطم الطلبة باستمرار و نحن معهم يوميا. ففي ميدان علوم الإعلام نعمل في ورشات و كان بؤدهم الحضور معنا في مثل هذه الندوة لكهم يخافون من التواجد في مثل هذه الندوة التي تنظمها حركة الديمقراطيين الاشتراكيين. تفهقر المستوى بصفة عامة لدى الشباب هي ظاهرة عالمية. ربما لأننا لم نوفر المناهج التي تتماشى و سنهم و إمكانياتهم الذهنية في الوقت الذي يجب فيه تغيير الأساليب إذ يغلب عليهم

معرض الكتاب و الطالب يتلقاه عبر الأنترنات بكل يسر ؟ بأي معنى أمنع حق الإطلاع في ظل عصر انفجار المعلومة ؟

منظومتنا الثقافية ليست هشة. فبلادنا منارة حضارية تأتيها النخبة من كل العالم الإسلامي، من إفريقيا و مصر.. عندما قدم طه حسين إلى تونس و حضر تخرّج دفعة من الطالبات في جامع الزيتونة ، قدّم جائزة لأحدى الطالبات المتفوقات و تحسّر على تخلف مصر عن تونس في هذا المجال، حيث تحرم الفتاة المصرية حتى من التعليم الثانوي في تلك الفترة.

أي أن هناك العديد من القضايا لا بدّ من التحاور حولها، و هناك الكثير من الحرقة و الألم خصوصا و أنّ المعارضة التونسية لم تنتهج تاريخيا خيار العنف المسلح في سياستها مع السلطة. لذلك فهذه الدولة الوطنية المستقلة التي استشهد من أجل قيامها الآلاف من التونسيين، على المجموعة الوطنية اليوم أن لا تتركها لقمة سائغة للتطرف و الإرهاب. لذلك فعلى الجميع أن يشرك في حمايتها و إذا كانت المؤسسة الأمنية مسؤولة عن حماية الدولة و المجتمع في اللحظات الحرجة فإن وقاية الشباب من الانزلاق في مهلوي التطرف و العنف هو مسؤولية المجموعة الوطنية كل من موقعه .

و أريد أن أتوجه للسيد إسماعيل بولحية لأقول له أن العنف ليس منتشرًا في تونس لكن هناك مخاطر من وجود الإرهاب. و أنا أعرف ما أقول بحكم اطلاعي على ما يجري في الجوامع و في الجامعات. فنحن مقدمون في العشريّات القادمة على فتنة طائفية دينية. هناك تيار سلفي قوي في تونس ، هناك تيار شيعي قوي في تونس تحضنه بعض الدوائر. لا بدّ أن ننتبه لذلك، لا بدّ من فهم هذه الظواهر سوسيلوجيا. و أن ننكب على دراسة هذه الظواهر السلفية. فما يعرفه الأمريكيان عن هذه الظاهرة أو عن التشيع في تونس أكثر ممّا نعرفه نحن عن بلادنا في الأوساط الأكاديمية، نحن نريد توسيع هامش الحرية و هامش التعبير و نريد أن نتوجّه ندائنا هذا إلى السلطة باسم الأكاديميين، باسم المعارضة...

لا خوف على تونس من حرية التعبير و من الحوار فالشباب التونسي في مستوى ذلك و نحن قادرون على تجاوز هذه المحنة. و السلام.

عبد اللطيف الفورتى:

الآن و قد انهينا النقاش العام أعطي كلمة الختام للأخ الأمين العام.

إسماعيل بولحية : مؤسسو

الحركة كان أغلبهم من الشباب

أولا أحب أن أشكر الأخت سلوى الشرفي و الأخ سامي براهيم و الأستاذ منصف وناس و الأخ عبد اللطيف على مساهماتهم ، و أريد أن أذكر في أي إطار تنظم هذه الندوة . فهي تنظم في فضاء حزب سياسي إلترم منذ انبعاثه على بعث اتحاد المغرب العربي كخطوة نحو توحيد العالم العربي. أغلبية مجتمعاتنا من الشباب و لذلك اخترنا هذا العنوان. و أغلبية من أسسوا هذه الحركة هم

للشعر الجاهلي. إنّ جذورنا الثقافية التونسية فيها كثير من القيم التنويرية و قيم الحريات و الحقوق و قيم الاعتراف بالمختلف. ثانيا أنا كباحث شاب أنفقت على الدولة من مال المجموعة الوطنية الكثير لذلك من الواجب علي أن أكون شاهد حق في المواقف المفصلية التاريخية و إلا فلا فائدة من شهادتي و بحثي. فالموقف أراه مهما و لا بدّ أن ننصح الأشخاص الذين يتخذون القرار السياسي أنه لا بدّ أن نعترف أن بعض صناعات القرار غصّوا الطرف عن الظاهرة السلفية التي تشكلت و توسعت تحت أعين أصحاب القرار السياسي. الظاهرة السلفية راندها في تونس الخطيب الإدريسي المقيم بسبيدي بوزيد و له كتب و فتاوي تحرمّ شق عصا الطاعة على ولي الأمر ، و مع ذلك فتحت لها المجال و غضض عنها الطرف.

الظاهرة الفكرية هذه يمكن أن تنتج في يوم ما العنف. أقول بكل ألم و أنه يكفيننا في تونس ضرب اليسار بالإسلاميين و ضرب الإسلاميين بالعلمانيين و ضرب النهضة بالسلفيين و ضرب السلفيين بالشيعية. هذه مهزلة و هذه لعبة لا بدّ أن نتوقف. و لا بدّ من إعادة الثقة بين الدولة و المجتمع و بين الحاكم و المعارضة هذه المعارضة موالية و هذه المعارضة راديكالية .

فحسب اعتقادي لا بدّ من بناء الثقة من جديد عبر فتح المجال لحرية التعبير. أنا لا يقلقني أن يأتي طالب تونسي و يعلن تفكيره للمجتمع، لكن ما يقلقني أن يتبنى هذا الفكر في غفلة مني و يقرر و يخطط و يبرمج و يترجم في غفلة من الإعلام و من السياسي و من الباحث. هذه ظاهرة شبحية : انظروا إلى الإعلام المرئي فتلفزتنا لا تقدم أي برنامج يتحدث عن الشباب المسجدي. لنا آلاف المساجد في تونس من منكم يعرف ماذا يدور فيها من نقاش و أفكار و الوثائق التي تروّج و توزع حول أي مضمون ؟. من يتحمل مسؤولية معرفة ما يجري وما يحصل في المجتمع للإصلاح و التوجيه و الإرشاد ليس من الاعباطي أن الشباب الطالب في الشعب العلمية هو القمة السائغة للاستقطاب. ليس هناك أي طالب في قسم الحضارة العربية أو قسم التاريخ أو قسم الفلسفة مورط في هذه القضية و ذلك لأن الشعب العلمية قطعت مع تدريس اللغة العربية و تدريس الفلسفة و تدريس العلوم الإسلامية.

نجد نوابغ في الإعلامية و نجد مع ذلك من يؤمن بالتكفير و يبكي عند الاستماع لبن لادن، هؤلاء أبناؤنا و هم صادقون فيما أقدموا عليه لكنه صدق مزيف قائم على منظومة مزيفة. من هو مكلف بهذا الشيء إذا كانت الدولة لا تقوم بمسؤوليتها و الإعلامي لا يقوم بمسؤوليته بالإضافة إلى المنظومة المجتمعية. فنحن نلقي بهذا الشباب في برائن الخطاب الإعلامي ثم نحاسبه على ما يقدم عليه.

هذه مسائل و يجب التحاور حولها و أنتم في حركة الديمقراطيين الاشتراكيين لكم نواب في البرلمان عليهم طرحها وطنيا و تفعيلها. مسألة تجفيف المنابع تحتاج إلى مراجعة. فما معنى أن يمنع بيع كتب ابن تيمية في

شباب حول الأستاذ أحمد المستيري الذي كان يتجاوزنا عمرا و كنا منسحبين من الحزب الحاكم لخلاف جوهري في مؤتمر 1971. و كان معنا الأخوان باجي القائد السبسي و حبيب بولعراس و غيرهم يطول ذكرهم . وكان معهم 8 من الشباب و فيهم أخونا محمد مواعدة. و الرسالة كما نعتقد يحملها الشباب. و السلفيون عندما يتجهون إليهم يريدون إدخال الدودة في الثمرة الطيبة التي ستهلكنا و لهذا تناولنا اليوم كل الجوانب الخاصة بهذه القضية، و الأخ سامي فوجئ بمدى نضج تدخلات الحضور. و أقول لك أن آخر ندوة قمنا بها كانت حول أفاق حقوق الإنسان في تونس يوم 8 ديسمبر الماضي و شارك فيها الأخ المختار الطريفي و الشاذلي بن يونس و كانت في نفس المستوى و بنفس الصراحة و كل ما قيل سجّل و سيصدر في نشرية خاصة .
أريد أن أشكركم باسم الحركة و خاصة الأخ عليّة العلاني مقرر لجنة التنمية السياسية. و أعدكم أن هذا الفضاء سيبقى فضاء للحوار و النقاش الحرّ و شكرا للجميع.